الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تاريخ المغرب الأوسط الوسيط

موسومة بـ:

المجتمع بين الريف والمدينة على العهد الزياني

(633-926هـ/1235-1555م)

إعداد الطالبتين:

- آيت مجقان هنية
- دريش سهام

إشراف الأستاذ:

كوريب عبد الرحمن

لجنة المناقشة

أ/شرقي نوارة .....رئيسة

أ/ كوريب عبد الرحمن .....مشرفا

أ/ طيب بوجمعة نعيمة .....مناقشة

السنة الجامعية :1436هـ1437هـ/2015م2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

سورة الأحقاف الآية: 15

نتوجه بالشكر جزيل إلي الأستاذ المشرف كوريب عبد الرحمان على كل ما بذله من جهد

في توجيهنا وتصحيح هذه المذكرة رغم أعبائه ومشاغله الكثيرة، فقد كان خير سند لنا.

ونتوجه بالشكر إلي الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة بحثنا وتقديمهم النصح والإرشاد وإنه ليسرنا أن نستزيد من علمهم وملاحظاتهم وجعله الله في ميزان حسناتهم.

ونشكر كل الأساتذة الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بالنصح والتوجيه وأناروا أفكارنا بما لديهم من علم ومعرفة قسم التاريخ

كما نتقدم بالشكر إلي عائلتينا اللتان قدمتا لنا يد العون وحفزتانا على إنجاز هذا البحث.

والشكر الموصل إلي كل أساتذة كلية العلوم إنسانية والعلوم الاجتماعية

بجامعة ابن خلدون بتيارت وعلى رأسهم كل عمال المكتبة، وجامعة العلوم إنسانية والاجتماعية، الجزائر، بوزريعة، على حسن الاستقبال.

فشكراً لكم جميعا.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى الذين قال فيهما المولى عز وجل : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

وإلى من أحمل اسمه بكل افتخار وإلى من أقف عاجزة أمام عطائه وجميله ، وإلى من تحمل مرارة التعب وقساوة الأيام من أجل تعليم أبنائه أبي العزيز " أمحمد " حفظه الله وأطال الله في عمره

إلى قرة عيني وسندي في هذه الدنيا ، وإلى التي تعجز الكلمات عن الوفاء بحقها والإشادة بفضلها أمي الغالية حفظها الله

وإلى أعز ما أملك أخوتي : محمد ، خليدة ، مريم ، نادية ، حفظهم الله ،

وإلى دعائم البيت "الحاجة" و "جدتي" و "جدي" ، أعمامي وزوجاتهم ، وعماتي ، أخوالي وزوجاتهم .

إلى زميلتي في العمل وصديقتي من تحملت معي عناء هذا العمل آيت مجقان ليليا .

إلى رفيقات دربي : فاطيمة ، نوال ، حكيمة ، منى ، سهام ، ليليا ، خويرة ، حنان ، أسماء ، نصيرة .

أمين حفظه الله

وإلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي .

إلى كل عائلة " دريش "

سهام دريش

إهداء

أهدي هذا العمل إلى الذين قال فيهما المولى عز وجل : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

إلى من غمرتني بعطفها ووهبتني كل أيامها ورعتني بأمانها ، والتي كانت دوما رمز للأمان

إلى العيون الساهرة والأنامل الدافئة إلى الشمعة الغالية " أمي مليكة " حفظها الله .

إلى من يحمل العبء والشقاء وأحاطني بالعطاء طالبا مني رفع راية العلم " أبي العزيز " أطال الله في عمره .

إلى من استوطنوا القلب وسكنوا همسات الروح أخواتي " ليندة، أنيسة، سامية، كريمة، وأزواجهم، و أبنائهم، وأخي سعيد . و زوجته، وابنة خالتي رحمها الله واسكنها فسيح جناته .

إلى الكتاكيت الصغار " صارة، أية، ليديا ، محمد ، ياسين .

إلى صديقتي العزيزة التي ساعدتني في إتمام هذا العمل " سهام دريش " .

وكل من أصدقائي "سيد علي، سهام، هاجر، نوال، زينة، فاطمة، سهام، حكيمة، منى، بوبة" .

وإلى كل من أمدني بالمساعدة من قريب أو بعيد .

ليليا- هانية

قائمة المختصرات:

تر: ترجمة.

تح: تحقيق.

تع: تعليق.

تق: تقديم.

در: دراسة .

مر: مراجعة.

ج: جزء.

ط: طبعة.

هـ: هجري .

م: ميلادي.

ص: صفحة.

ت: توفي.

د ن : دون طبعة.

د ت: دون تاريخ.

مقدمة

تعتبر الدولة الزيانية من بين أهم الدول التي نشأت على أرض المغرب الأوسط عبر التاريخ ودامت ثلاث قرون من(633_962ه/1235_1555م)، حيث استطاعت أن تمد حكمها على أكبر جزء من المغرب الأوسط، وتمكنت من إخضاع عدة مدن لسلطتها، وكانت تلمسان هي حاضرة الدولة، وقد عرفت تطورا حضاريا ملحوظا، جعل منها مدينة فن وحضارة وتاريخ.

وكغيره من المجتمعات تميز المجتمع في العهد الزياني بخصائص ومميزات من حيث بنيته الاجتماعية وعاداته وتقاليده وطبيعة تفكيره التي تحكمت في علاقاته الاجتماعية، ومظاهر حياته اليومية، التي تستوجب دراسات أكاديمية متخصصة تميط اللثام عن الكثير من ملامح هذا المجتمع التي لا زالت في الظل، إلا أن الأبحاث التاريخية ركزت عنايتها بالجوانب السياسية والثقافية للدولة الزيانية، ولم تحض الحياة الاجتماعية بعد، على الرغم من أهميتها القصوى في رصد حركية المجتمعات الوسيطية، إلا بدراسات قليلة.

و هذا ما دفعنا إلى اختيار موضوعا يركز على هذا الجانب من الدراسات، موسوما ب" **المجتمع بين الريف والمدينة في العهد الزياني**".و هو يكتسي أهمية بالغة تكمن في محاولة الكشف عن جوانب هذه الحياة الاجتماعية، ومعرفة الدور الجوهري للأرياف في تطور المجتمع خلال هذه الفترة، والكشف عن نسيج العلاقة التي تكونت بين سكان الريف وسكان المدينة في العهد الزياني، ومن ثم وجب أن ينال هذا الحيز الجغرافي حظه من التاريخ والدراسة، بالإضافة إلى إثراء المكتبة التاريخية الوسيطية ببحوث في هذا الميدان، ويؤسس لكل هذا رغبتنا الذاتية في اقتحام هذا المجال المعرفي على رغم مما يطرحه من صعوبات في المنهج ومن شح في المصادر.

لم تخل المكتبة من دراسات حققت سبقها في مثل هذه المواضيع والتي استفدنا منها كثيرا، تناولت الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط على العهد الزياني وسهلت علينا الإحاطة بجوانب الموضوع وكيفية التعامل معه، ومن هذه الدراسات عدد من الرسائل الجامعية أهمها: رسالة

ماجستير هناء الشنقيطي، الموسومة **بالخطاب الفقهي لريف المغرب الأوسط**. حيث أفادنا في كيفية التعامل مع بعض النوازل الفقهية خاصة فيما يخص الحياة الأسرية في ريف المغرب الأوسط.

ودراسة عميور سكينة، **ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و 6ه/11و 12م**،دراسة اقتصادية واجتماعية.برغم أنها تدرس الفترة الموحدية في المغرب الأوسط إلا أنها ساعدتنا في المنهجية وبنية المجتمع الريفي.

ومذكرة دكتوراه لعبد المالك بكاي، **الحياة الريفية في المغرب الأوسط ق 7_10ه/ 13_16م** حيث أفادتنا في معرفة العديد من المصادر والمراجع التي تخدم موضوع ريف المغرب الأوسط، إضافة إلى علاقة التأثير والتأثر بين الريف والمدينة. إضافة إلى عدد من المراجع أساسية منها، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للدولة الزيانية، لمختار حساني. حيث أفادنا في التعرف على الحياة الاجتماعية بصفة عامة. وقد ساعدتنا في التميز بين الحياة الاجتماعية في الريف والمدينة.تلمسان في العهد الزياني، لعبد العزيز فيلالي. حيث أفادنا في جميع الجوانب الاجتماعية.

إلاّ أننا لم نجد أي دراسة مختصة لمجتمع في ريف والمدينة في أن واحد إلا التي تدرس المجتمع بصفة عامة أو ريف بصفة خاصة.

و قد تمحورت عناصر الموضوع حول الإشكالية التالية:

ما هي مظاهر الحياة الاجتماعية في ريف ومدينة المغرب الأوسط على العهد الزياني ؟

و تفرعت هذه الإشكالية إلى العديد من التساؤلات:

1_ فيما تكمن التركيبة الاجتماعية لسكان الريف والمدينة في العهد الزياني؟

2_ ما هي الفئات الاجتماعية لكل من الريف والمدينة؟

3_ إذا كان الزواج من أساسيات بناء الأسرة، فما هي أهم شروطه وعاداته في الأرياف والمدن ؟ وما هي ابرز المشاكل الأسرية؟

4_ تعتبر المرأة هي اللبنة الأساسية في المجتمع فما هو دورها ومساهمتها في الحياة الاجتماعية ؟

5_ ما هي مميزات المجتمع الريفي والمديني وما أبرز عادته وتقاليده؟ وكيف أثرت على السكان المجتمع؟

6_ما هي الأسباب المؤدية لحدوث المجاعات والأوبئة لسكان الريف والمدينة في المغرب الأوسط على العهد الزياني؟

7_ما هي العلاقات الاجتماعية بين الريف والمدينة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا، المنهج التاريخي والمنهج الوصفي حيث اعتمدنا عليه في وصف أحوال المجتمع القائمة في هذه الفترة، والمنهج التحليلي الذي تناولنا فيه هذه الأحداث والوقائع بالتحليل خاصة ونحن في بصدد الدراسة الاجتماعية لأحوال المجتمع الريفي وكذا المديني، وكذلك اعتمدنا على المنهج المقارن من خلال عرض النصوص والمقارنة إذ وجد اختلاف أو تشابه في الحياة الاجتماعية بين الريف والمدينة وعلاقة التواصل بينهما.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة قسمنا بحثنا إلى:

مقدمة: التي تطرقنا من خلالها للموضوع والتعريف به، والأسباب الكامنة وراء اختياره، مع طرح إشكالية وبعض التساؤلات الأساسية والخطة المراد من خلالها معالجة الموضوع، ثم المنهج المتبع والدراسات السابقة لننتهي إلى عرض أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها والصعوبات التي وجهتنا خلال انجاز هذا البحث.

المدخل بعنوان: نبذة تاريخية عن الدولة الزيانية. تناولنا فيها مراحل تأسيس الدولة الزيانية، وأهم الوقائع والأحداث البارزة التي شهدتها الدولة .

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية بريف المغرب الأوسط في العهد الزياني07ه_10ه/10م_13م. تناولنا فيه التركيبة السكانية للمجتمع في الريف، وتعريف الريف وأهم القرى اضافة إلى البربر، والعرب، والأقليات. والفئات الاجتماعية التي تحتويها، والحياة الأسرية داخل المجتمع، من زواج ودور المرأة ومساهمتها في المجتمع، والعادات والتقاليد وبأسباب حدوث المجاعات والأوبئة.

أما الفصل الثاني: بعنوان الحياة الاجتماعية بمدن المغرب الأوسط في العهد الزياني 07هـ_10هـ/13م-16م، تعرضنا فيه إلى التركيبة السكانية للمجتمع، وتعريف المدينة في المغرب الأوسط وأهم المدن التي شملها المغرب الأوسط في العهد الزياني، والبربر، والعرب، والأقليات، إضافة إلى الفئات الاجتماعية بمدن المغرب الأوسط في العهد الزياني، وكذلك الحياة الأسرية التي تضمنت كل من الزواج، ووضعية المرأة وإسهاماتها في المجتمع، وأبرز العادات والتقاليد، وبالإضافة إلى الأوضاع الصحية وما نتج عنها من مجاعات وأمراض وأوبئة.

أما عن **الفصل الثالث:** علاقة التأثير والتأثر بين الريف والمدينة، تناولنا فيه المدينة باعتبارها مركز سلطة الريف، وظاهرة الهجرة بين الريف والمدينة، والتكامل الاقتصادي بين الريف والمدينة. وكذلك تناولنا العلاقات الاجتماعية لكل من الزواج والطلاق والمرأة والعادات والتقاليد.

و **خاتمة:** تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليه من خلال الدراسة، ولانجاز هذه الخطة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع .

دراسة المصادر والمراجع:

اقتضى البحث في الحياة الاجتماعية بين الريف والمدينة على الاعتماد على أصناف مختلفة ومتنوعة من المصادر والمراجع سنحاول عرض أهمها على حسب خدمتها وأهميتها بالنسبة للموضوع.

كتب التاريخ:

1_**بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،** يحي ابن خلدون أبي زكريا: (ت 780هـ_1378م)، هو مؤلف يتحدث عن تاريخ الدولة الزيانية منذ نشأتها، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة لدراسة هذه الفترة لكونه شاهد عيان على الفترة، وأفادنا خاصة في المدخل حول التاريخ السياسي لدولة الزيانية وعن الفئات الاجتماعية، إضافة إلى تعريف بعض الشخصيات .

2_**العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،لمؤلفه ابن خلدون، عبد الرحمان (ت 808هـ_1405م): يعد من أهم المصادر التاريخية التي أفادتنا، وقد استطاع صاحبه أن يغطي أحداث سياسية لدول ومجتمعات وقبائل منذ بداية الخلق إلى عصره أفادنا هذا المصدر في جزئيه السادس والسابع وذلك للاستفادة منه في أهم العناصر السكانية للمجتمع الزياني

–**المقدمة،** يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة جدا في التاريخ إذ أفادنا خاصة في الجانب الفصل الثالث الذي يخص علاقة تأثير وتأثر بين الريف والمدينة.

3_**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب النظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان،** لتنسي، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل: (ت 899هـ_1493م) أفادنا في الحديث عن بعض العادات والتقاليد التي كانت في العهد الزياني ونخص بالذكر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

كتب المناقب والتراجم:

1_ أنس الفقير وعز الفقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه، ابن قنفذ القسنطيني، أبوا العباس احمد بن الحسين (ت 810هـ_1407م)، حيث أفادنا في معرف العديد من الشخصيات من فقهاء وعلماء.

2_ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ابن مريم أبوا عبد الله محمد بن محمد المليني المليوني التلمساني (ت1414هـ-1605م) حيث أفادنا هو الأخر على ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث.

كتب الجغرافيا:

1_**وصف افريقيا**، لمؤلفه الوزان، حسن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي: (ت957هـ-1552م)، يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي اهتمت بالمناطق والمدن والأرياف وفقد أفادنا في معرفة الطعام ولباس ومواصفاته في كل منطقة، والعادات الحميدة والذميمة والأمراض المنتشرة في المغرب.

2_ **صورة الأرض**، ابن حوقل، أبي القاسم التجيبي:أفادنا في التعرف على بعض المدن وأوصافها وأهميتها في المغرب الأوسط اضافة إلى الإدريسي والبكري.

3_**الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري**، محمد ابن عبد المنعم السيبتي، (أواخر القرن 9هـ-15م) أفادنا في تعريف بعض الأماكن الجغرافية.

كتب الفقه والنوازل:

1_ **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام**، البرزلي، أبوا القاسم أحمد البلوي التونسي (841ه_1438م)، له سبعة مجلدات واعتمدنا على الجزء الثاني في كثير من مسائل النكاح والطلاق، ويحتوي هذا المصدر على مجموعة من الفتاوى التي قدمت على شكل أسئلة لكبار المشايخ والفتيا وتقديم أجوبة الواضحة التي يدل عليها الشرع.

2_ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب** الونشريسي، أبوا العباس احمد بن يحي: (ت914ه_1508م)، له ثلاثة عشر جزء وهو من أكثر المصادر اعتمادا في هذا كثير من الجوانب، خاصة ما تعلق بها بمسائل النكاح والمرأة ودورها في المجتمع اضافة إلى

بعض المسائل التي كانت تستشار فيها من أجل معرفة حكم الشرعي فيها وجواز القيام بهذه الأعمال .

المراجع:

1_**تلمسان في العهد الزياني دراسة (سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية)**، عبد العزيز فيلالي، يحتوي على جزئين وهو من أكثر المراجع التي اعتمدنا عليها وبالأخص ج1، أفادنا في جمبع مظاهر الحياة الاجتماعية بالدولة الزيانية.

2 _ تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، **مختار حساني**، إضافة إلى ويمثل الأحوال الاجتماعية ويعتبر هذا الكتاب مرآة صادقة لأحوال الدولة الزيانية حيث تعرض فيه إلى جميع الجوانب الاجتماعية وما تعلق بها من القبائل والفئات اضافة إلى العادات والتقاليد.و أفادنا ج1، ج3.

3_باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، (ت1411هـ-1991م) **محمد بن رمضان شاوش**، الذي اعتمدنا عليه بكثرة هو الأخر من ناحية السياسية والاجتماعية، خاصة فيما تعلق بالعادات والتقاليد.

4_دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المغرب الاسلامي، **الحبيب الجنحاني** حيث أفادنا هذا الكتاب في علاقة الجدلية بين الريف والمدينة في الفصل الثالث.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث، قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن الريف، وصعوبة التعامل مع بعض المصادر مثل كتب الفقه والنوازل بكونها تورد مسائل وأسئلة فقهية، وجل المصادر تورد المظاهر السياسية، وصعوبة التعامل مع الموضوع في حد ذاته لكونه يدرس علاقة داخل مجتمع واحد و لم ينل حقه من التاريخ خاصة إذ ما تعلق الأمر بالمغرب الأوسط.

المدخل

نبذة تاريخية عن الدولة الزيانية

مراحل تطور الدولة الزيانية.

عندما تداعت دولة الموحدين، وضعفت قبضة المصامدة[1]، خاصة بعد معركة العقاب 609ه/1212م التي أدت إلى انهيار الجيش الموحدي[2]، إضافة إلى تأزم الوضع بين الأسرة الحاكمة، نتيجة للصراع بين السادة وأمراء الدولة وأشياخ القبائل المناصرة للدولة الموحدية، وبخاصة بعد وفاة الخليفة العادل 624هـ/1226م، وتولى الخليفة إدريس المأمون وضعف النفوذ الموحدين بالمغرب الأوسط حيث لم تبقى لهم سوى مدينة تلمسان بين المناطق الأخرى، أصبحت تحت نفوذ شيوخ (زناتة، مغراوة، بنو توجين، بنو عبد الواد).

إذ أتيحت الفرصة للزناتين ليتخلصوا من سيادة المصامدة والصنهاجين عليهم، ويخففوا من المغارم التي أثقلوها بها، ويعودوا إلى ما تلقوه دهورا طويلة من السيطرة على أرياف المغرب الأوسط وحواضره، لتأسيس دولة لهم[3]، فشقت قبيلة بني عبد الواد عصا الطاعة ونبذوا دعوتها معلنين استقلالهم بالمغرب الأوسط، واتخذوا تلمسان عاصمة لدولتهم، إلا أن هاته الأخيرة كانت معرضة للغزو من طرف جيرانها، الحفصين والمريني.[4]

لقد مرت الدولة الزيانية منذ بداياتها إلى نهايتها في تلمسان والمغرب الأوسط بأدوار أربعة متعاقبة، توالت على مدار ثلاثمائة سنة وهي كالتالي:

النشأة، التوسع، النهضة، الانحدار والسقوط.

[1]- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي العصر الحديث، العصر الحديث للنشر، بيروت، ط1، 1412ه، 1993م، ج2، ص116.

[2]- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط1، 1421هـ/2001م ، ص07 .

[3]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 116

[4]- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ج1، ص ص61 62.

1_النشأة:

يمتد من سنة 633هـ/ 703هـ نشأت فيه الدولة الزيانية في تلمسان، وامتدت على مساحة كبيرة من المغرب الأوسط، ويبدأ من استلام يغمراسن[1]، الحكم بتلمسان إلى نهاية الحصار المريني الطويل على المدينة سنة 703هـ، تناوب على الحكم في هذا الدور ثلاث سلاطين، منهم السلطان يغمرا سن مؤسس الدولة، مبتدئا من تلمسان ومنظما لشؤونها وفي ذلك يقول ابن خلدون:"واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح، واستلحق العساكر وفرض العطاء، واتخذ الوزراء والكتاب، وبعث في الأعمال ولبس شارة الملك، واقتعد الكرسي، ومحا الدار المؤمنية"[2].

وكان من أشد سلاطين بني زيان[3]، وقد وصفه ابن الخطيب قائلا :"هو احد أهل زمانه جرأة، وشهامة ودهاء وجزالة، وحزما، مواقفه في الحروب الشهيرة"[4]. وعمل السلطان يغمراسن على توسيع سلطة تلمسان داخل المغرب الأوسط، بإخضاع القبائل العربية والبربرية لسيادة تلمسان، بدأها السلطان بأبناء عمومته ببني مطهر، وبني راشد، فقد قدم بنو راشد المساعدة إلى بني مطهر للخروج على الزيانين في تلمسان بحجة أحقيتهم في حكم قبيلة بني عبد الواد، إلا أن يغمراسن حارب الطرفين، وأخذ البيعة لنفسه منهم سنة 633هـ /1235م[5].

---

[1]- يغمراسن بن زيان: هو مؤسس الدولة الزيانية قام بربط علاقات ودية مع الحفصين شرقا و هدن بني مرين و إبان حكمه، عرفت المدينة مجال كسب الحضارة بنشاطها المكثف و استقطاب العلماء من كل الجهات. ينظر: براهامي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2010، ص25.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، دط، 1431 ،2011م، ج7، ص 79.

[3]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني(دراسة حضارية وسياسية و ثقافية و اجتماعية و عمرانية)، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، دط، 2002، ج1، ص 21.

[4]- لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1973، ج1، ص92.

[5]- أبي زكريا يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح و تق و تع: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط، 1400هـ/1980م، ج1، ص205 .

إخضاع مدن المغرب الأوسط لسيادة تلمسان مثل: مدينة وهران الساحلية، ومدينة سجلماسة الصحراوية سنة 662هـ ومدينة مليانة سنة 667هـ، مدينة تنس[1]، ومقاومة الدولة المرينية له غربا وغزوهم تلمسان عدة مرات، مما قلل من فرصة توسعه غربا وخسارته لبعض المناطق، مثل سجلماسة سنة 672هـ[2]، بعد وفاة السلطان يغمرا سن سنة 681هـ/1283م خلفه ابنه السلطان عثمان[3]، ولد سنة 639هـ، بويع في ذي الحجة سنة 681هـ، وكان أبو سعيد ملكا شجاعا باسلا ذا دهاء وسياسة[4].

استمر السلطان عثمان على نفس سياسة والده السابقة القائمة على توسيع سلطة تلمسان داخل المغرب الأوسط والعمل على تثبيت المناطق التي ضمتها تلمسان إليها في فترات سابقة[5]. ساس الدولة بالمزيد من الاحتياط والتيقظ فبدأ حكمه بانتهاج سياسة مسالمة لبني مرين بناءا على وصية من والده يغمرا سن للتفرع ومواصلة جهوده من أجل بناء صرح دولته الفتية، وبهذه السياسة استطاع أن يجمع كلمة قومه حوله[6].

صرف وجهه إلى الأعمال الشرقية من بلاد توجين ومغراوة فتغلب أولا على ضواحي بني توجين ومغراوة وما وراءه، وانتظمت سائر بلاد مغراوة في إيالته، ثم عطف في سنته على بلاد توجين فأكتسح حبوبها واحتكرها وصارت بلاد توجين كلها في عمله[7].

عرف عهده بكثرة الثورات من قبل القبائل البربرية المعارضة لدولة الزيانية، أمثال بنو توجين بقيادة آل عبد القوي، إذ تمكن من انتزاع جبل الونشريس وما حواها حتى المدية، عمل السلطان

[1]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص88 .

[2]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207 .

[3]- عثمان بن يغمراسن: هو أبو سعيد قام بربط علاقات تجارية متينة مع المدن الفرنسية لتسويق و شيد منجزات معمارية كثيرة منها المساجد توفي سنة 1304م في منتصف الحصار الطويل الذي ضربه المرينيون على المدينة. ينظر براهامي نصر الدين، المرجع السابق، ص 25.

[4]-لخضر عبدلي، التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ابن نديم لنشر و توزيع، الجزائر، دط، 2011، ص83 .

[5]-محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر و العقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود أغا بوعياد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2001 ، ص 129.

[6] -لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 83.

[7]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص92.

عثمان على استيلاء (إخضاع) المدن التي لم تخضع أيام السلطان يغمرا سن داخل المغرب الأوسط على مضارب مغراوة مثل: مازونة، تنس، برشك ودفع بهم إلى جبل الظهرة بذلك استطاع أن يمد نفوذ الدولة على كل الأراضي التابعة للدولة في عهد يغمراسن[1]، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "فأنتظم بلاد زناتة الأوسط كلها"[2].

لم يكن أبو سعيد عثمان أقل صلابة وحزما، فقد قضى سنوات حكمه القليلة في الدفاع عن بلده ومحاولة توسيع رقعته، حتى لقد حاول انتزاع بجاية من أيدي بني حفص سنة 1287م ولكنه لم يوفق في ذلك[3]، ويقال أنه توفي بعد الحصار مباشرة الذي كان من قبل المرينين[4].

2_التوسع:

خلال هذا الدور حكم الدولة ثلاث سلاطين، محمد أبو زيان الذي استلم الحكم بعد وفاة والده، السلطان عثمان 703هـ/1304م واستمر حتى سنة 708هـ /1308م، وجاء بعده شقيقه السلطان أبو حمو موسى الأول حتى سنة 718هـ/1318م، وخلفه ابنه السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول حتى سنة 737هـ/1338م.

بدأت الدولة في هذا الدور بفرض سيطرتها من جديد على المناطق التي خسرتها أيام الحصار المريني الطويل، فقد قام أبو زيان بمحاولة الانتقام من البربر والعرب الذين ملأوا المرينين في ناحية سرسو الواقعة جنوبي وهران، ولكنه لم يستطيع واضطر إلى مصالحتهم[5]، واسترد كل ما استولوا عليه من البلاد، ورجعوا إلى المغرب الأقصى بعد أن شرطوا عليه ألا يتعرض من أهل تلمسان لمدينة

[1]-مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، دم، دت، 2009، ج1، ص11 . ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207 . ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص129.

[2]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 93.

[3]-ابن الأحمر، المرجع السابق، ص25.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص11

[5]- ابن الأحمر، المرجع السابق، ص29.

المنصورة بسوء ثم خرج أبو زيان من تلمسان شرقا لمحاربة القبائل التي شقت عصا الطاعة عليه[1]، منها مغراوة، فسلط عليه سيف انتقامه إذ عاقبهم على مساندتهم لبني مرين ووقوفهم إلى جانبهم أثناء حصارهم لتلمسان[2]. وبعد أن خضعت لسيادته[3]، وضع عليها مسامح (مولاه) ليحكمها نيابة عن السلطان في تلمسان[4]، ثم عاد إلى عاصمة ملكه فأدركه الآجل المحتوم سنة 707هـ/1307م رحمة الله عليه[5].

استلم السلطان أبو حمو موسى الأول الحكم بعد وفاة شقيقه السلطان أبو زيان سنة 707هـ/1308م، نقل الدولة الزيانية من عهد السذاجة القبلية والبساطة في الأحكام إلى الملك العضوض[6]. قام بإصلاح ما تهدم خلال الحصار المريني، وتوفير المؤونة داخل تلمسان، واستعادة الأراضي التي فقدتها الدولة واستولت عليها القبائل التي اغتنمت فرصة الصراع فأعلنت انفصالها عن الدولة[7].

وبعدها انطلق إلى تمهيد البلاد الشرقية من مملكته، حيث واصل المجهود الذي بدأه أخوه أبو زيان محمد فجرد حملات متتابعة ضد بني توجين ومغراوة[8]، وأخذ منهم مراهينهم[9]، وقد عين يوسف بن حيوان الهواري على عمالة الونشريس[10].

ثم انتقل إلى بقية القبائل المتواجدة في تلك الديار حتى أخضعهم واطمأن إلى استكانتهم وطاعتهم، وبذلك تمكن من السيطرة منذ توليه إلى سنة 714هـ/1314م على المدن والمناطق

---

[1]-محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج1، ص72.

[2]- بوزيان دراجي، ادباء وشعراء تلمسان، الجزائر، دار الأمل، دم، دط، 2011، ج1، ص 189.

[3]- محمد بن رمضان شاوش المرجع السابق، ج1، ص72.

[4]- بوزيان دراجي، المرجع السابق، ج1، ص189.

[5]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج1، ص73.

[6]- بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص191.

[7]- مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص11.

[8]- بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص192.

[9]- التنسي، المصدر السابق ، ص،136.

[10]- بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص194.

التالية، شلف، وجبل الونشريس، والسرسو مازونة مليانة، المدية، برشك، تنس، مستغانم، وهران، والجزائر بعد استسلام أميرها ابن علان له هذا و لم تشغله العمليات العسكرية ضد القبائل المتواجدة بين تلمسان والجزائر عن نقل عملياته الحربية إلى ديار الحفصين في إفريقية ويعتبر أهم توسع في هذا الدور[1]، فقد جرد مجموعة من الفرق المقاتلة لمحاصرة المراكز الرئيسية في المغرب الأوسط وإفريقية التابعة لتلك الدول مثل بجاية، قسنطينة، بونة، وهكذا شرع السلطان الزياني في خطته بالتقدم نحو الشرق والاقتراب من خطوطه الأمامية حيث شيد سنة 711هـ/1311م قصره المعروف في وادي نهل[2]، بالقرب من مازونة الذي اتخذه مركز قيادة أمامية لها[3]، وقد شكل فرقة عسكرية أسند قيادتها إلى بعض أقاربه ومواليه، فأسند قيادة بحصار بجاية إلى ابن عمه أبي سرحان مسعود بن أبي عامر برهوم، فضيق عليها فوصلوا بزحفهم الكاسح إلى بونة، ثم تخطوها إلى قسنطينة[4]، واستمر الضغط على المناطق الشرقية في عهد السلطان أبو تاشفين الأول.

نظم السلطان أبو حمو موسى الأول أمور تلمسان في هذا الدور، حيث وضع القوانين والأنظمة، وقد وصفه ابن خلدون بقوله :"كان صارما يقضا، حازما داهية قوي الشكيمة، رتب مراسيم الملك، وهذب قواعده، زارها في ذلك الأصل ملكه"[5]. ولكن مما يؤسف له أن الأمير أب تاشفين ثار على والده عام 718هـ/1318م ودبر مكيدة كان والده ضحيتها لإثارة ابن عمه أب سرحان مسعود بن أبي عامر عليه وتفضيله إياه ثم تقلد الحكم مكانه[6]، توفي الأربعاء 22 لجمادى الأول سنة 718هـ[7].

---

[1]- بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص193.

[2]-وادي نهل :أحد روافد واد شلف و هو قريب من مازونة و في هذا الموقع شيد السلطان أبو حموا قصره المسمى قصره باسمه و عرف الأن باسم عمي موسى. ينظر: بوزيان دراجي، نفسه، ص 192.

[3]-نفسه، ص193.

[4]-نفسه، ص ص 194 195.

[5]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص98.

[6]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج1، ص75.

[7]-التنسي، المصدر السابق، ص138

3_النهضة:

تمثل هذا الدور بفترتين الأولى إعادة إحياء الدولة الزيانية 749هـ/1348م على يد الأميرين الشقيقين أبي سعيد وأبي ثابت بعد هزيمة السلطان أبي الحسن المريني في معركة القيروان، والفترة الثانية بقيادة أبو حمو موسى الثاني760هـ / 1358م.

الفترة الأولى : لا تمثل هذه الفترة إلا فترة قصيرة من حياة الدولة الزيانية، وهذه الفترة لا تتجاوز أربع سنوات من 749هـ /1348م، إلى 753هـ/1352م، بدأت هذه المرحلة بعد فترة غياب دامت تسع سنين، انمحت خلالها دولة بني عبد الواد من الخارطة السياسية لبلاد المغرب[1]، واختلاف الفرع الزياني الذي حكم تلمسان في هذا الدور عن الذين حكموا في الأدوار السابقة، فلأميرين يعودان إلى نسل الأمير أبي يعقوب بن يحي بن يغمرا سن والى السلطان عثمان بن يغمراسن[2].

وتغيير نظام الحكم عن الأدوار السابقة حيث تولى الحكم بينهما فأختص أب سعيد لذكائه بالشؤون المدنية واختص أب ثابت لشدته وصرامته بالشؤون العسكرية[3]، فلم يكتب لهذه الفترة أن تطول بسبب قتل الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت إبان دخول المرينين لتلمسان وحكمهم المغرب الأوسط[4].

4_إعادة إحياء الدولة الزيانية بقيادة أبو حمو موسى الثاني 760 هـ/1358م:

بدأ هذا الدور بعودة دولة الزيانية وإعلان قيامها من جديد في عاصمتها التقليدية تلمسان سنة760هـ /1358م، ويعد دور الأبهة والسلطان المطلق، وبمثابة البذرة من حيث النظم السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، إن أيامه كانت حافلة بالحروب والاضطرابات التي فرضت عليه

[1]- بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص216.

[2]- نفسه، ص 215.

[3]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج1، ص 83 84.

[4]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 7، 1415ه_1994م، ج2، ص 179.

وألزمته الدفاع عن عرشه ومصيره، فهو من جهة يحارب الدول المعادية له ومن جهة أخرى يقاتل القبائل المتمردة عن سلطانه كما يسعى لإخضاع العمالات الخارجة عن طوعه أيام المحنة بالإضافة إلى أنه كان يتصدى للفتنة التي أشعلها ابن عمه أبو زيان[1]، واستطاع أن يغتنم فرصة الاضطرابات التي عرفتها الدولة المرينية في عهد السلطان أبو عنان، فعاد من منفاه إلى تلمسان بعد القضاء على الحامية المرينية، وبذلك أعاد مجد الدولة وقد تميز عصره، باستمرار ثورات القبائل البربرية على الدولة الزيانية وزيادة نفوذ القبائل العربية التي تحصلت منه إقطاعات كبيرة مكنتها من السيطرة على أجزاء كثيرة من أراضي التلال وأبرز هذه القبائل سويد، بنو عامر، حميان، أيضا القيام بحركات توسعية على حساب الدولة الحفصية فحاول الاستيلاء على بجاية[2]، وكثرة الخطر المريني على دولته، مما دفع به إلى ترك تلمسان والتوجه نحو الواحات الصحراوية[3].

وقد عرف عصره اشتداد الصراع بينه وبين الأمير الحفصي أبي يحي الذي وجد مساعدة من شيوخ تلمسان وأعيانها، ومن بين هؤلاء موسى بن حمزة، وعبد الله بن عثمان، وقد كان لاجئا في تونس فتوجه منه إلى المغرب الأقصى، ثم دخل إلى المغرب الأوسط معلنا الثورة على السلطان، تلمسان وقد وجد تأييدا لدى القبائل أولاد بليل، ثم واجه الجزائر بني مزغنة فاستولى عليها، ثم وجه ولده المتوكل على رأس قوة عسكرية لاستعادة أقاليم الدولة فاستولى على متيجة وملیانة، وتنس[4]، ولمواجهة الثورات قام بناء السور العظيم الذي أحاط بالقصر وما انظم إليه[5].

5_الانحدار وسقوط الدولة الزيانية :

استمر الدور الرابع حوالي مائة وسبعين سنة، مابين 791هـ/962هـ، و1389م/1555م وهي السنة التي انتهت فيها الدولة الزيانية، امتاز هذا الدور بضعف السلطة الزيانية، وتقلص تبعية

[1]- بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص 230.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص247.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص14.

[4]- التنسي ، المرجع السابق، ص251.

[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص ص14 15. ينظر: ابن الأحمر، المرجع السابق، ص9.

السلطان الزياني للدول المجاورة من المرينية والحفصية، وازدياد نفوذ القبائل العربية على تلمسان والأراضي الزيانية، وانقراض دولة بني زيان، بعد أن تولى الحكم المتوكل الأمر بتلمسان فان الضعف أخذ يدب في آل زيان ويعمل عمله الهدام والفوضى التي تنتشر شيئا فشيئا في البلاد التي عمها الجور والفساد، ولعبت فيها الضغائن والأحقاد[1].

في مرحلة الانحطاط تميز سلاطينها بالضعف، وانعدام الطاعة وقصر الفترة الزمنية التي تولى فيها هؤلاء مثل: أبو ثابت بن أبي تاشفين الذي تولى الحكم بعد وفاة ابنه، لكن عمه أبا الحجاج لم يترك له الفرصة لينعم بالحكم، بل ثار عليه ،وتولى شؤون الدولة إلا انه لم يستمر في حكم الدولة، لأن فترة تولية السلطان، لم تتعدى عشرة أشهر، وأغتصب منه كرسي الحكم، وأيضا السلطان أبي زيان محمد الذي لم تزد فترة توليه السلطة عن السنة، لأنه اعد من قبل أخيه[2]، وقصر فترة الحكم لهؤلاء السلاطين ترجع بالدرجة الأولى إلى التنافس بين أبناء السلطان الواحد لان ولاية العهد في الدولة الزيانية لم تكن مقننة، وبذلك ساهمت في إضعاف الدولة وتفجير تناقضاتها، وكذلك تدخل الدول المجاورة لها "بنو مرين وبنو حفص" وتطاحن العصبيات بها زاد من خطورة هذا المشكل.

فكان موت السلطان يؤدي إلى عصيان أبنائه وأقاربه، ويفجر صراعا بين أفراد الأسرة الحاكمة، مما يؤدي إلى الانقسام في صفوف القبائل المؤيدة ولمعارضة للدولة والتصفية الجسدية لبعض أمراء الدولة الزيانية[3]، وازدياد التنافس بين أمراء الدولة، فكان الابن لا يتورع عن قتل أبيه لكي يتولى الحكم، وقد بدأ هذا العمل الشيخ السلطان أبو تاشفين الأول، الذي عمد إلى قتل أبيه، بعد أن تبين له أنه يريد تولية ابن عمه أبي عامر وحرمانه من الحكم 717هـ /1317م[4].

---

[1]- محمد بن رمضان بن شاوش، المرجع السابق، ج1، ص94.

[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص19. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص286.

[3]- نفسه، ص ص18-19.

[4]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسطى، ديوان المطبوعات الجامعية ،دم، دط، 1990، ج1، ص220 . ينظر: مختار حساني، نفسه، ج1، ص29.

في هذه المرحلة عرفت ثورات أمراء الدولة على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم التي كانت سببا في انفصال أقاليم الدولة، وهكذا نرى أن الخروج عن السلطان لم يكن مقتصرا على القبائل فقط بل يشمل أمراء الدولة أيضا بمساعدة أعيان تلمسان الذين كان لهم تأثيرا داخل المجتمع[1]، إن هذه الثورات المتوالية أثرت تأثيرا سلبيا على أوضاع الدولة الزيانية في عصر العباس العاقل فقال:"استولى المتغلبون على الأوطان ،أكثر الثوار من الزناتين والعربان"، وتقلص مملكة تلمسان إذ أصبحت لا تتعدى العاصمة ونواحيها، وإن موظفين الدولة الزيانية لم يكونوا ينفذون أوامر الدولة وهذا ما أدى بدرجة الأولى إلى ضعف قوة الدولة واعتمادها على شيوخ القبائل[2].

6- تلمسان عاصمة الدولة الزيانية:

تلمسان :كلمة بربرية معناها ينابيع وهذا المعنى يتلائم تماما مع إقليم تلمسان لكثرة مائها[3]، فيحي ابن خلدون فسرها أنها مركبة من كلمتين أمزيغتين "تلم"و"سين"معنى الأولى هو تجمع والكلمة الثانية معناها اثنان، والمقصود في بعض التفسيرات أنها تجمع بين التل والصحراء ،بسبب وجود المدينة في التل بينما هي محاذية للصحراء[4].

ويرى عبد الرحمن ابن خلدون[5]، أن اسمها في لغة زناتة مركبة من كلمتين أيضا ويعنون البر والبحر. وهناك من ينطقها تنمسان بالنون وليس اللام.[6] وهناك من يرى اسمها الأول "أغادير"[7]،

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص30 .

[2]- نفسه، ص35.

[3]- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تق:عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1987، ص9.

[4]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص 85.،ينظر: الجيلالي شقرون، مجلة الفقه والقانون، تلمسان مركز إشعاع حضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص1.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص156 157 . ينظر: بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص ص 59 60.

[6]- عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ج1، ص93.

[7]- أغادير: قال فيها أبوا عبيدة في مسالكه مدينة في سفح جبل ذي جوز أبوابها خمسة ماؤها مجلوب من عين الوريط. ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 91.

والثانية "تكرارت"[1]، وكانت تحمل في القديم اسم القيصرية [2]، أما قاعدتها فمدينة تلمسان بكسر المثناة من فوق واللام وسكون الميم ،وفتح السين المهملة ،وألف والنون وهي مدينة من المغرب الأوسط، وقال في تقويم البلدان من الغرب الأقصى متاخمة للغرب الأوسط وشرقي فاس بميلة إلى الشمال، وموقعها في أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة [3].

حدد الجغرافيون، موقع مدينة تلمسان في الإقليم الثالث[4]، عند درجة طول أربع عشر وأربعين دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتا عشرة دقيقة[5]، وتقتعد بسفح جبل يحفظها من الجنوب عروسا فوق منصة، أو ملكا على رأسه تاجه[6]، ولها ثلاث عشر بابا وماؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها، وفي خارجها أنهار وأشجار[7]، ويحد مملكة تلمسان واد "زا "ونهر ملوية غربا، والواد الكبير (الصمام)، وصحراء نوميديا جنوبا، وتمتد على مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلا من الشرق إلى الغرب، لكنها تضيق جدا من الشمال إلى الجنوب، إذ لا تتعدى المسافة خمس وعشرين ميلا في بعض النقط، من البحر المتوسط إلى تخوم الصحراء نوميديا[8].

تعتبر تلمسان من أحسن مدن الشمال الإفريقي الغربي موقعا لكونها في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى[9]، يكون

---

[1]- تكرارت:تعرف بتاجرارت بناها ملك لمتونة يوسف بن تاشفين سنة 462هـ، سميت باسم تاجرارت إنه اسما لمحلى بلسان زناتة.ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 91.

[2]- حسن بن محمد الوزان الفارسي، المعروف بليون الافريقي، وصف شمال إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، ط2، 1983، ج2، ص 08.

[3]- أبي العباس القلقشندى، صبح الأعشى، في كتاب الإنشا دار الكتب الخديوية، القاهرة، دط، 1222،1915م ج5، ص 149.

[4]- أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسيني الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد، دط، دت، ،ج1، ص 215.

[5]- القلقشندى، المصدر السابق، ج5، ص149 150.

[6]- محمد الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، تق: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، دط، 2007، ص11.

[7]- القلقشندى، المصدر السابق، ج5، ص149.

[8]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص8 9.

[9]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص27.

معظم مملكة تلمسان أقاليم جافة وقاحلة لا سيما في جزئها الجنوبي، لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصبها، والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازات، ولا يوجد بهذه المملكة إلا القليل من المدن والقصور[1].

لقد تعددت المصادر التي وصفت تلمسان فقد وصفها البكري في المغرب، زار المدينة في القرن الرابع هجري العاشر ميلادي قائلا:"وهي مدينة مسورة في سفح جبل، شجرة الجوز، ولها خمسة أبواب، ثلاثة منها في القبلة، باب الحمام، باب وهب، باب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة، وفيها للأوائل أثار قديمة وبها بقية من نصارى إلى وقتنا هذا، ولهم بها كنيسة معمورة وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد وهي دار مملكته زناتة على قديم الزمان"[2].

ووصفها يحي ابن خلدون عاش في المدينة في القرن الثامن هجري والرابع عشر ميلادي قائلا:"مدينة عريقة، في التمدن، لدنه الهواء، عذبة الماء، كريمة المنبت، اقتعدت بسفح جبل ورنيد عروسا فوق منصة، والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين، تطل على فحص لفلح." ووصفها المقري عاش في القرن العاشر ه والسادس عشر ميلادي قائلا:"جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في مكان شريف كأنها ملك على رأسه تاجه...وماؤها برود صديد، حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب خزانة للزرع"[3].

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 9 10 .

[2]- أبو عبيدة البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت، ص، ص، 61، 69.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، بيروت، دط، 1408ه/1988م، ج8، ص341.

الفصل الأول

الحياة الاجتماعية بريف المغرب الأوسط على العهد الزياني

المبحث الأول: التركيبة الاجتماعية لريف المغرب الأوسط على العهد الزياني.

المبحث الثاني: الفئات الاجتماعية في الريف على العهد الزياني.

المبحث الثالث: الحياة الأسرية في الريف على العهد الزياني.

المبحث الرابع: العادات والتقاليد في الريف على العهد الزياني.

المبحث الخامس: الأوضاع الصحية في الريف على العهد الزياني.

المبحث الأول: التركيبة الاجتماعية لريف المغرب الأوسط على العهد الزياني.

1_تعريف ريف المغرب الأوسط وأهم القرى:

لغة: يعرفه ابن منظور في لسان العرب :"يعني الخصب والسعة والمأكل، والجمع أرياف فقط والريف ما يقرب الماء من أرض العرب وغيرها، والجمع أرياف وريوف.

اصطلاحا: الريف أرض فيها زرع وخصب، ورأفت الماشية أي رعت الماشية، وفي الحديث تفتح الأرياف أي تخرج إليها الناس وهي جمع ريف، وهو كلُّ أرضٍ فيها زرع ونخل وقيل: هو ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها..."[1].

وتكون الأرياف نواحي الجبال مثلا جبل راشد، وهذه الأرياف كانت تقطنها قبائل البربر وأكثرها من زناتة إذ أن المغرب الأوسط على العهد الزياني عرف بسكانه الزناتيون ومن أشهرهم: مغراوة وبنو يفرن وبنو عبد الواد وبنو راشد، وقد اختلفت سبل معيشتهم حسب ما تفرضه الظروف الطبيعية والمناخية، فمنهم المزارعون ورعاة الإبل والأغنام، ومنهم في السهول العليا والصحراء، قوم رحل يضربون في الأرض طلبا للرزق، وطلبا للمراعي الخصبة وقد عاشت هذه القبائل الريفية في العصر الموحدي ثم الزياني، وأخرى نازحة من الشرق معيشتها الرحل أيضا، إذن حياة سكان الريف مرتبطة بالزراعة والخصب في المعاش وبالتالي يمكن القول أن الريف هو النواة الأولى لنشأة المدن في المنطقة[2].

ومن أهم قرى المغرب الأوسط التي ذكرها الرحالة الجغرافيون:

قرية مسكيانة وهي أكبر حجما من مجانة وكانت تخضعان لسلطان واحد، وقد اشتهرت بكثرة مياهها وسمكها، ورخص أسعارها، وسوقها الممتدة بالبساط، وقرية باغي التي لها سور قديم أزلي،

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب ،تح : عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1،دت، مج3، ص 1794.

[2]- محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، المكتبة الوطنية ، الجزائر، دط، 1892م، ص 40.

وشرب أهليها يأتي من واديها، وكانت في ضواحيها الجنان والمزارع الواسعة، وقرية أوراسية التي كان سكانها من اللهان، ومن القرى أيضا دار ملول وجبل توجان، عين الصفاض ويلّل، وبني واريفن في قرية أزلية في نهر شلف، وقرية مشلون قرب بسكرة طرفة وهي موجودة شمال الغدير، وكل هذه القرى ساهمت في الحياة الاجتماعية عامة في العهد الزياني[1]، كان سكانها في السهول وقرب الجبال[2].

يقول ابن خلدون في المقدمة :"أعلم أن الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلهم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون من أجل تحصيله والابتداء بما هو ضروري وبسيط قبل الحاجي والكمالي"[3]، وإن الظروف الطبيعية والمناخية فرضت على سكان المغرب الأوسط نمط معيشتهم، إذ يقول ابن خلدون أيضا :" تدعوهم الضرورة ولا بد إلى البدو لأنه متسع لما تتسع له الحواضر من المزارع والمسارح ... فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا ضروريا "[4]. إذن فإن سكان الريف هم سكان المدن والضواحي البعيدة عن المدن وكل من يعيش حياة الترحال، وقد سكنت هذه البوادي والجبال عناصر سكانية مختلفة ومتنوعة منها: البربر، العرب ،والأندلسيون[5].

2_البربر:

شكل البربر أهم عنصر سكاني داخل المجتمع الريفي على العهد الزياني في المغرب الأوسط ويعود إلى قبائل متعددة منها:

[1]- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، دط، 1338ه 1968م، ج 1، ص 28.

[2]- صالح بن قربة، تاريخ الجزائر في العصور الوسطي من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسة والبحث، الجزائر، دط، 2007، ص 201.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح و تع: و عبد السلام الشادلي، بيت الفنون والعلوم والأداب، الدار البيضاء، دط، 2005، ص 191.

[4]- نفسه، ص ص 192 193.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 20.

واسين: وهم بنو واسين[1]، بنو يصلتين بن مسرا بن زاكيا، من آنش بن واردين، وقد قام بنو واسين إخوة مغراوة وبني يفرن ما بين نهر ملوية إلى جبل راشد، وتفرعوا إلى بطون منها: بنو توجين، مصاب وزردال وبني عبد الواد[2].

بني عبد الواد: هم من مولد بادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وإن نسبهم يرتفع إلى يزجيك بن واسين بن ورسيك بن جانا[3]، وبطونهم كثيرة: بنو ياتكتن، وبنو وللّو ومصوجة وبنو تومرت وبنو ورسطف بادية من أهل الوبر[4]، كان بنو عبد الواد من البدو الرحل[5]، يجوبون صحراء المغرب الأوسط بمواشيهم ويترددون ما بين مصب الزاب وسجلماسة الى واد ملوية، وأشتهر رجالهم بالفروسية والنجدة وشيوخهم بالحكمة والدهاء [6]، واستقروا في المراعي جنوبي وهران وهناك عاشوا حوالي قرن من الزمن حياتهم البدوية الفقيرة، ودخلوا في طاعة الموحدين وخدموهم[7].

وقد تحدث عنهم الإدريسي في رحلته فذكر أنهم من بين السكان الأراضي المحيطة بمدينة بسكرة، ثم انتقلوا نحو سهول التلية على عهد الدولة الموحدية وتمركزوا في الأراضي المحصورة بين وطن شلف وتلمسان إلى جوارأخوانهم من الزناتين مثل بني توجين ومغراوة[8].

---

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 81.

[2]- نفسه، ص 766.

[3]- ابن الأحمر، المرجع السابق، ص 10.

[4]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 186.

[5]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 146.

[6]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 54 55.

[7]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 74.

[8]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 18.

بنو توجين: كانت مواطن بنو توجين على حوافي واد شلف[1]، ويحتلون مرتفعات جبال الونشريس[2]، من أراضي سرسو والمسمى لهذا العهد "صا"، وكثيرا ما كانت له صراعات ضد الدولة الزيانية ممّا أدى إلى حروب كثيرة بين الطرفين[3]، واستمروا على هذه الحال حتى استطاع السلطان عثمان بن يغمراسن بإجبارهم دفع المغرب، برز منهم على عهد الدولة الزيانية محمد بن عبد الله القوي وحفيده أبو زيان[4]، واستولت قبيلة بني توجين على حصن الجعبات وقلعة تاغزوت وبذلك أصبحت المناطق الواقعة بين مواطن بني راشد وصنهاجة بنواحي المدية وبلاد سرسو وجباله، ملكا لبني توجين قبل انتقال القبائل العربية لهذه المنطقة[5].

بني راشد: كانت مواطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد[6]، وكان من زعماء بني راشد على أيام الدولة الزيانية إبراهيم بن عمران واستبد عليه أخوه ترمار 690هـ/1291م، وقد كان بني راشد أحلافا لبني عبد الواد والدولة الزيانية في فتنهم مع بني توجين وبني مرين، اغتنم بني راشد أوضاع المغرب الأوسط في المرحلة الأخيرة من حياة الدولة الموحدية فتوجهوا إلى المناطق الشمالية لأهميتها من الناحية الاقتصادية، وخاصة وفرة الماء والمأكل فأغاروا على المنطقة التي تندرج ضمن مضارب مديونة بين واد مينا ووادسيق[7]، فتغلبوا عليها واختطوا بها القلعة التي أصبحت تسمى بقلعة بني راشد، لما توجهوا إلى المنطقة التي كانت في الماضي ضمن مضارب بني يفرن[8].

---

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2 ، ص 27.

[2]- جبل شاهق سكنته القبيلة ، قمته شديدة الوعورة فيه كمية وافرة من المعدن. ينظر:حسن الوزان، المصدر السابق، ج2 ،ص 45.

[3]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 104.

[4]- نفسه، ج6، ص 107.

[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص20.

[6]- اقليم بني راشد : يمتد طوله نحو خمسين ميلا ،من الشرق إلى الغرب، ينقسم سكانه إلى قسمين سكان المرتفعات، وسكان السهول يقيمون في البادية ويعيشون في الخيام، وهم من الأثرياء. ينظر: حسن الوزان، المرجع السابق، ج2، ص 26.

[7]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 104.

[8]- مختار حساني، المرجع السابق، ج 3، ص 20.

مصاب وزردال: سكنت قبيلتا مصاب وزردال، وفروع بني عبد الواد في منطقة قصور مصاب في قبلة تلمسان بمنطقة معروفة باسم الحمادة، وقد كان حلفاء بني عبد الواد حتى أنهم عدو منهم وقد تقلد بنو زردال مناصب مهمة في الدولة الزيانية، منهم عبد الله الزردالي الذي تولى قيادة الجيش الزياني على عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني [1].

بني يفرن الزناتيون: أبناء يفرن بن يصلتين جدهم الأكبر هو زانا بن يحي إخوة مغراوة، بنو يرينان وبنو واسين من فروعهم : بنو واركو ومزديجة، يصفهم ابن خلدون فيقول: "وبنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة وأوسط بطونهم"[2]، وكان بنو يفرن هؤلاء أكبر قبائل زناتة أشدها شوكة، وكان منهم بإفريقية جبل الأوراس، والمغرب الأوسط بطون وشعوب[3]، وكانت مواطن بني يفرن قرب جبل بني راشد تمتد من مدينة سلا، وكانوا بدوا رحل، وهم من بطون زناتة الضخمة وهم أبناء عم جيرانهم مغراوة الذين كانوا يعيشون في الجزء الشرقي من جبال الريف إلى حوض نهر سبوا[4] .

ويقول عنهم ابن خلدون أيضا :"وكان أهل الرياسة بتلك الأرياف والضواحي بني يفرن ومغراوة بتلمسان ...ومن كان إليهم من بني واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين وراشد..."[5].

3_العرب:

إضافة إلى العنصر البربري فقد عرف المجتمع الريفي للمغرب الأوسط على العهد الزياني مابين [633_962هـ/1235_1554م]، عناصر عربية مشرقية ونظرا للاضطرابات المزمنة التي

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 123.

[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 24.

[3]- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأريح، تونس، دط، 1968م، ص 110.

[4]- ابن الأحمر، المرجع السابق، ص11.

[5]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 65.

سادت المغرب الأوسط، كان لها دور في انتشار القبائل الهلالية منها في المناطق الساحلية للمغرب الأوسط[1].

العرب الهلالية: كان البدو من العرب يسكنون الخيام ويعتمدون في معيشتهم على رعاية الإبل ثم الغزو والصيد[2]، إذ يعتبر دخول بني هلال[3]، إلى المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة، بداية التواجد الحقيقي للجنس العربي في هذه المنطقة، نظرا للتأثيرات الهامة التي حملها معه هذا التواجد الذي أطلق عليه تسمية الزحف تارة والغزو تارة أخرى، لقد كان بنو هلال من مضر من جبل غزوان وهم ممَّن يلي البادية، قد دخل العرب الهلالية لما تغلبوا على صنهاجة واجتهدت زناتة في مدافعتهم لما كانوا أملك للبأس والبداوة والنجدة [4].

كانت مواطن بني هلال ببسائط الطائف وبينه وبين جبل غزوان، ولقد اكتسحت قبيلتي بني عامر[5]، والسويد لبلاد المغرب الأوسط إلى درجة أن السلطان يغمراسن، كان يوليهم حمايته ضد أعدائه المرينيين [6].

فقد تحالف العرب مع بني عامر من قبيلة زغبة مع السلطان الزياني أبي زيان حمو (ت805هـ/1402م)، ضد بني مرين ومهادنة هذا الأخير لهؤلاء الأعراب بالعطايا وكذلك لأتباعهم[7]، فسلاطين بني زيان كانوا يقطعون الأراضي ويملكونها لمشايخ العرب لما لهم من مصلحة هذا ما يعكس سيطرة الهلاليين على أرياف الدولة الزيانية، واستغلالهم للاضطرابات السياسية للدولة لبسط نفوذهم، فهذا الفرع من العرب كان يقدم الخدمات لكل فرع من الطرفين (بني

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 176.

[2]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص156.

[3]- بنوا هلال: ينسبون إلى بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمه بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر. ينظر : عبد الوهاب بن منصور، نفسه، ص 412.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 366.

[5]- بنو عامر: مواطنهم الكبرى حول مدينة وهران ، ودخلت جماعات منهم إلى المغرب الأقصى فاستقرت قرب سلا . ينظر: عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ص 323.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص20.

[7]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 364. ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص20.

زيان، بني مرين) بدافع المصلحة الخاصة، والميل لصالح من يقدم أكثر الأمر الذي يجعلهم ينقلبون على بني زيان في موقف أخر[1].

وامتدت موجة الهلاليين لمنطقة المغرب الأوسط على أريافه، فأشارت العديد من النوازل إلى تغلب هؤلاء العرب على القبائل والقرى وامتهانهم اللصوصية، فقد سئل الفقيه محمد بن بلقاسم المشدالي عن نازلة مفاده أن جماعة من العرب استولوا على قرية وفرضوا عليهم الجباية على الجنات والزروع والأكثر من ذلك سلبهم لحرية تصرف المالك في ملكة بالبيع، ولم تكفي هذه الفئة المسيطرة على القرى والأرياف بأخذ الضرائب منهم، بل تعدتها إلى سلبهم ونهبهم، وبالتالي كانت القرى والأرياف عرضة لغزو الهلاليين بسبب كثرة عددهم وقوة فرسانهم[2].

4_الأقليات:

1_الأندلسيون:

بعد تساقط المدن الأندلسية بيد النصارى منذ النصف الأول من القرن الثامن هجري، زاد عنصر الأندلسيون إلى بلاد المغرب الأوسط، ولعل أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان، عاصمة المغرب الأوسط على العهد الزياني، هي التي كانت في عهد الأميرين عبد الواحد بن أبي عبد (814_827هـ/1411_1424م)، وخلفه أبي العباس أحمد الزياني (834_862ه/1431_1462م).

إن الحديث عن العنصر الأندلسي في المجتمع الريفي الزياني شكل نوعا من الاستقلالية مقارنة ببقية العناصر الأخرى، فقد اختلفت أهداف الهجرة من الأندلس إلى بني زيان باختلاف أغراضها بين طلب العلم والتجارة والفلاحة أو الكسب، وتتضح معالم التحولات في البنية الاجتماعية والاقتصادية في ظهور طبقات متميزة تتناسب مع طبائعهم واختصاصهم الحرفي والمهني

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص147.

[2]- هناء الشنقيطي، الخطاب الفقهي لريف المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة من خلال نوازل مازونة، مذكرة ماجيستير، جامعة قسنطينة، 1434ه/2013م ، ص53.

منها: أهل البادية والزراعة ويدخلوا مع أصحاب الحرف والمهن المختلفة في غمار العامة، وهم في المرتبة السفلى من الهرم الاجتماعي[1].

وقد أكد المقري في قوله :"ولما نفذ قضاء الله على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة، فتفرقوا في بلاد المغرب من بر العدوة حتى بلاد افريقية فأهل البادية مالوا إلى البوادي ما اعتادوه، ودخلوا على أهلها وشاركوهم فيها فاستقروا المياه وغرسوا الأشجار، وأحدقوا وعلموهم أشياء لم يكنوا يعلمونها ولا رأوها فشرقت بلادهم وصلحت أحوالهم"[2].

فقد قام السلطان أبي العباس أحمد الزياني بإسكان العامة والفلاحين ضواحي المدينة، واحوازها ولا سيما في واد الوريط، فانتشروا على ضفتيه وقد وصلت قرى هذه الجالية الأندلسية إلى جبل بيدر، حيث توجد زاوية الشيخ أحمد بن محمد المناوي الحسيني المتوفي سنة (930هـ/1524م)، وإلى مدشر "الشولي" وعين تالوت، فقد توجه أهل البادية والزراعة إلى مناطق تواجد الفلاحة[3].

[1]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ج1، ص 176.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص،ص 137، 140، 156.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 177.

المبحث الثاني: الفئات الاجتماعية في الريف على العهد الزياني.

1_شيوخ ورؤساء القبائل:

كانت قرى وأرياف المغرب الأوسط، تنتدب شخصا من بين أفرادها لإدارة شؤونها، وتسمى هذه الفئة رؤساء وشيوخ القبائل، وقد كان لهم سلطة قوية على الرعية، يذكر ابن حوقل في صورة الأرض:"...و فيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم"[1].و يذكر الإدريسي أيضا بقوله:"...وتصرف أحوالها لأشياخها"[2]، وقد تمتعت هذه الفئة بمكانة مرموقة لدى حكام وسلاطين الدولة الزيانية، نتيجة لما يقدمونه من الخدمات لصالح السلطة فاقطعت لهم أراضي للانتفاع من جبايتها[3].

وقد تحدثت النوازل على دور شيوخ ورؤساء القبائل في استتاب الأمن والاستقرار، وعلى الرغم من سيطرة فئة رؤساء وشيوخ القبائل على ريف المغرب الأوسط إلا أن الصراعات القبلية فرضت نفسها هي الأخرى في منع هذا الأمن والصراع بين القبائل وهذا لا ينفي بالضرورة أن شيوخ ورؤساء القبائل[4]. كان لهم دور سلبي، فقد ذكرت نوازل المازوني التي أورد فيها أحوال قرية كثر فيها الظلم والعداء على أهلها[5]، وما يلاحظ أن ظلم هؤلاء كان كبيرا في أرياف الدولة الزيانية، إلا أن بعضهم يشهرون توبتهم ويرجعون ما غصبوة[6]، ومنه فإن هذه الفئة كانت رمزا لقوة الأرياف، في التنظيم الاجتماعي.

[1]- أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، دط، 1992م، ص97.
[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 178
[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 212 213.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6 ، ص 97.
[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3 ، ص 168.
[6]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 169.

2_الفقهاء والعلماء:

فئة العلماء والفقهاء شريحة هامة داخل المجتمع الريفي، وبالرغم من قلة المصادر التي تتحدث عن الفقهاء والعلماء بريف المغرب الأوسط على العهد الزياني، إلا انه من المؤكد أن هذه الفئة كانت تعمل على التدريس والتفقيه وتعليم مبادئ الدين[1].ومما ساعد في انتشار العلوم الفقهية في سهول وجبال المغرب الأوسط هو الانتشار الواسع للدين واللغة العربية، ومما زاد أيضا في تقرب الناس من الفقهاء هو انتشار المذهب المالكي، وصار المغرب الأوسط مركزا لدراسة المذهب المالكي[2]، ودارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي[3].

ومن الأدلة الواضحة على تواجد الفقهاء بأرياف المغرب الأوسط هو المعاهد العلمية والمراكز الثقافية من أبرزها الرباطات التي لها وظائف عديدة إلى جانب الدفاع، من تربية وتعليم الناس مختلف العلوم الدينية، مثل: رباط تلمسان، ندرومة، تنس هنين، مستغانم، وهران، وشرشال[4]، إلى جانب الرباطات نذكر أيضا الزوايا، وقد ساد لفظ الزاوية مكان الرباط والزاوية مكان ذو طابع ديني وثقافي وتعليمي، وقد انشأ الزوايا أما سلاطين أو أهل الخير أو رجال الطرق الصوفية[5]، وقد عرفت أرياف المغرب الأوسط انتشارا كبيرا للزوايا بين القبائل والعشائر، ومن ابرز العلماء نذكر عبد الرحمان الشريف[6]،كان بفاس وسرعان ما عاد إلى تلمسان وبها نشأ وتعلم الفقه

---

[1]- أبو العباس الغبريني محمد بن عبد الله، عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح و تع: عادل النويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م، ص 201.

[2]- محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع، ابحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9ه / 12_15م)، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، دط، 1420ه 1999م، ص ص، 125 130.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص 77.

[4]- أبي محمد بن عبد الملك ابن القطان، تر وتق و تح: محمود علي مكي، نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، دار الغرب الإسلامي،دم، ط1، 1990م، ص77. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 188. البكري، المصدر السابق، ص، ص 80 82.

[5]- أبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، انس الفقير وعز الحقير، اعتنى به وصح: محمد الفاسي و اودولف فور، ، المركز الجامعية للبحث العلمي ، الرباط، دط، 1965م ، ص117.

[6]- هو عبد الرحمان بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني، يكنى بأبي يحيى الشريف، ولد في أخر ليلة 19 رمضان 757ه_1356م بعدما بشر به أبوه في منامه، سماه والده عبد الرحمان وكناه بيحيى عن أبو زيد يحيى ابن خلدون أبو يحيى السماك. ينظر :ابن مريم، المصدر السابق، ص 127.

والأصول والتفسير وقال فيه الإمام ابن العباس:" الإمام العلامة الأوحد شريف العلماء وعالم الشرفاء آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن ابن العلماء الأئمة"[1].

ومنصور الزواوي[2]، الذي قال عنه لسان الدين ابن الخطيب:"هو صدر من الصدور له مشاركة حسنة في الكثير من العلوم العقلية والنقلية "، وقال عنه يحي بن أحمد السراج:" كان شبحا فاضلا فقيها نظارا معدودا في أهل الشورى مثابر على التعلم ووالتعليم"[3].

إذن فقد شكلت فئة الفقهاء والعلماء بريف المغرب الأوسط شريحة اجتماعية هامة، وكانوا على اضطلاع على العلوم الدينية، مما ساعد على التفاف سكان الأرياف حولهم.

3_المتصوفة:

يعد الأولياء والمتصوفة من الفئات الاجتماعية الهامة بريف المغرب الأوسط، حيث كانت لهم أدوار كبيرة الأهمية على المستوى الاجتماعي، وهذا راجع إلى الرصيد المعنوي الذي اكتسبوه داخل مختلف شرائح الاجتماعية، والى الهبة التي صارت لهم لدى الناس على اختلاف درجاتهم ومواقعهم ويمكن حصر تدخلات الصوفية في بعض المجالات التي احتفظت بها كتب التاريخ والمناقب، ولعل من أبرزها دورهم في ضمان الأمن وعقد الصلح بين الأطراف المتخاصمة، لذا فهم يتخذون البوادي لحماية المسافرين والتجار.[4]

وقد أورد الونشريسي إقامة بعض المتصوفة في أماكن مخوفة لتأمين السبل،"الحمد لله إقامة المرابط بهذا الموضع الذي كان قبل سكنى هذا الذي به مأوى للمحاربين ومهلكة للمسافرين من

---

[1]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1400هـ، 1980م، ص187.

[2]- منصور بن علي بن عبد الله الزواوي أبو علي [710ه 770ه_1311م 1368م]، نشأ في بجاية هو من أهل زواوة ، رحل إلى الأندلس سنة 753ه فاشتغل بالتدريس و تصدر للفتيا، فترك الأندلس سنة 765ه،و استقر بتلمسان يقرئ ويدرس. ينظر: عادل نويهض، نفسه، ص 166.

[3]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 166. ينظر:أحمد بابا التمبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الدباج، إشراف وتق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، دط، ص 346 . ابن مريم، المصدر السابق ، ص 292 .

[4]- محمد فتحة، المرجع السابق، ص ص 163 164.

باب إعانة اللهفان ودفع الفساد عن أهل الأمان وما أعظم المثوبة في ذلك وما هذا إلا جهاد عظيم وشرف ...ولكن يعظم شرفنا بتحمل الإنسان المكاره والمشاق لأجلها"[1].

إضافة إلى عمل متصوفة الريف من أجل إنقاذ المسلمين من أيدي النصارى، ربما بسبب جوار المنطقة للبحر المتوسط، وحتى المتصوفة الملازمين لربط الساحلية[2]، وقد توفر لبعض الصلحاء نصيب وافر من العلم أهلهم لتدريس كبار الطلبة.[3]

4_الحرف والمهن:

تنوعت الحرف والمهن بريف المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، وهذا من أجل المساهمة في الحاجيات اليومية للسكان، وكانت هذه الحرف تعتمد على تحويل المنتجات الزراعية والحيوانية إلى سلع قابلة للاستهلاك، مثل الصوف التي تعد أهم منتوج حيواني من حيث استخدامه في اللباس إلى جانب الافرشة، والخيام...الخ، في حين كانت الحرف التي تسبب في تلوث محيط المدينة وإزعاج الناس تمارس خارج أسوار المدن، مثل دباغة الجلود، والحدادة، فضلا عن الأريحية[4]، التي تستعمل لطحن الحبوب فكانت في الغالب تقام على ضفاف الأنهار[5]. فيقول عنها البكري:"...وأنهار عليها طواحين وهي دار مملكة زناتة وموسطه قبائل البربر ومقصد للتجار"[6].

---

[1]- أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد وجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دط،1401ه 1981م، ج 2، ص403.

[2]- محمد فتحة ، المرجع السابق، ص 170

[3]- أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، ص، ص 147 272.

[4]- تحدث الونشريسي خلال نوزله في المعيار عن التراعات التي كانت تقوم بين أصحاب الارحى.ينظر الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص ص 388 389

[5]- مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588_927ه/1192_1520م)، ماجيستار التاريخ الوسيط،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة،1430ه 2009م، ص58.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص ص76 77.

وإن الحرفيين كانوا تجارا أيضا ينتقلون ببضاعتهم بين المدن والبوادي، إلى جانب مساهمة المرأة بشكل كبير إذ تعد من أصحاب الحرف والمهن في البوادي، وقد تنوعت منتوجاتها من غزل، وخياطة ونسيج وطرز ....الخ[1].

5_المزارعون والرعاة:

إن خصوبة أراضي الدولة الزيانية التي تمتد من جبال أكفادوا في بلاد القبائل الكبرى إلى حوض واد ملوية جعل السكان لا يعتمدون على نمط واحد في الحياة، بل نجد ثنائية الاستقرار والترحال بين الزراعة وتربية الماشية[2]، وقد نالت فئة الفلاحين نصيبها من ضواحي مدينة تلمسان وأحوازها ولاسيما وادي الوريط، فانتشروا على ضفته وشيدوا القرى والبساتين، وأسسوا مصانع ومتاجر عديدة وغرسوا الحقول والمزارع المختلفة الثمار[3]، وبرزت فئة الأقليات الأندلسية من أصحاب البادية والزراعة والحرف أيضا وهذا ما أكده المقري في نفح الطيب في قوله "...ولما نفذ قضاء الله على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة، فتفرقوا في بلاد المغرب، من بر العدوة حتى بلاد افريقية فأهل البادية قد مالوا إلى البوادي إلى ما أعقدوه ودخلوا على أهلها وشاركوهم فيها فاستقوا المياه، وغرسوا الأشجار وأحدقوا الأرض وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرقت بلادهم وصلحت أحوالهم"[4].

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص192. ينظر: الونشريسي، المصدر السابق،ج9، ص 106.مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص ص 198 199 .

[2]- مختار حساني، نفسه، ج3، ص211

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 176

[4]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص156

وقد تنوعت أصناف المزارعين من مستأجر[1]، إلى مزارع مشارك[2]، ومزارع موسمي[3]، وكان المزارعون يعملون في أراضي القبائل العربية التي استقرت بأغلب أراضي الدولة الزيانية، بعد أن أزاحت عليها القبائل البربرية، كبني توجين ومغراوة وبني راشد، وبني عبد الواد، الذي فضل بعضهم الاستقرار في المناطق الجبلية الوعرة، مثل الظهرة وجبل الونشريس[4].

وباعتبار أن أهل البادية كانوا يعتمدون على حياة الترحال، فكانت علاقة المزارع بالأرض هي علاقة انتفاع واستفادة والإقبال على الزراعة منح أهل البادية حياة الاستقرار[5].

أما عن الرعاة، بما أن أغلب سكان الدولة الزيانية من عنصرين بارزين :البربر والعرب وكلاهما يهتم بتربية المواشي، فالزناتيون مثلا : قال عنهم ابن خلدون أن من عوائدهم إتلاف الرحلتين مشيرا بذلك إلى عملية الانتجاع بين المرتفعات والسهول، وإذا كانت هذه الظاهرة الطبيعية تشير إلى وضعية ايجابية فبجب أن لا يغرب عن الأذهان أن عائد الماشية كان يؤول إلى القبائل العربية كما أن سنوات الجفاف كانت تخلف نتائج سلبية على وضعية الرعاة[6].

[1]- مزارع مستأجر :هو الذي يكتري الأرض لمدة سنة أو أكثر، ويلزم بدفع الكراء إلى صاحبها. ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 211

[2]- مزارع مشارك، أي مشارك لصاحب الأرض ويعرف بالخماس و كان عليه أن يقوم بجميع الأعمال بما في ذلك خدمة الحيوان الخاص برب الأرض. ينظر: مختار حساني، نفسه،ج3، ص 212

[3]- مزارع موسمي: يعمل بالأجرة أيام الحرث والقطف والحصاد. ينظر مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 212.

[4]- مختار حساني، نفسه، ج3، ص 212

[5]- محمد فتحة، المرجع السابق، ص 350

[6]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص214

المبحث الثالث: الحياة الأسرية في الريف على العهد الزياني.

1_الزواج:

يتضح من نوازل النكاح التي أوردها الونشريسي في المعيار المغرب العديد من الحقائق والإشارات المتعلقة بالزواج والحياة الأسرية في المجتمع الزياني، إذ تعتبر الأسرة هي عشيرة الرجل وأهل بيته لأنه يتقوى بهم وأن التبعية المطلقة للأب وأن سلطة الأب كانت مطلقة على الأسرة رغم اتساعها، وفي حالة وفاة الأب تنتقل المسؤولية إلى الابن الأكبر،كما أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال فصلها عن القبيلة فهي النواة الأساسية لتكوين القبيلة[1].

ويقول البرزلي من خلال نوازله في النكاح :"النكاح:له حقيقة لغة وشرعا: فحقيقته لغة هو الجمع والضم، وحقيقته في الشرع قال عبد السلام: لا معنى لحقيقته إلا بتحصيل الأركان"[2].

وللزواج أركان شرعية يجب الالتزام بها وهي كالتالي الولي، الصداق أو المهر، الشهود، العقد والصيغة[3].

الخطبة: هي مقدمة تمهيدية للزواج[4]، وتبدأ بتقدم والد الفتى أو ولي أمره إلى الفتاة أو ولي أمرها ليتكلم معه في رغبة موكله في الزواج من ابنته[5]، فقد كانت الخطبة في البادية تتم بحضور كبار القرية الذين يتدخلون حتى في تحديد شروط المهر ولهم الكلمة المسموعة[6]. بالنسبة لمدة الخطوبة

---

[1]- عبد المالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7_10ه/13_16م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 1435_2014م، ص 184.

[2]- أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت 841ه 1438م)، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين و الحكام، تق، تح، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 2002، ج2، ص 173.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص288.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص200.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص288.

[6]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص200.

فقد تطول وقد تقصر على حسب الظروف[1]، العريس والعروس لكن فترة الخطبة كان العريس يقوم بتقديم الهدايا لخطيبته في الأعياد والمناسبات.

العقد: تتم بموافقة القاضي بعد موافقة الأب ووجود شاهدين وموافقة البنت، وتحديد الصداق ثم يدعوا الخاطب إلى قراءة الفاتحة بالمسجد[2]، ويرى الونشريسي بالنسبة للقرى أن عدم حضور القضاة لتسجيل عقد الزواج في البوادي راجع إلى الجهل في هذه البوادي، وفي هذا الصدد يقول:"من عادة أهل البادية ذم الكتب حين العقد وعدم حضور من يعرف أركان النكاح، ويتم العقد إلا بعد البناء"[3].

فقد طالت أيضا مدة البناء بالزوجة تصل في بعض الأحيان إلى سنة، وكما هو معروف فقد كانت بيت الزوجية من الأمور الضرورية للزواج، لكن من العادات التي انتشرت في بعض نواحي مازونة أن عملية البناء بالزوجة لا يكون في بيت الزوجية وإنما يكون في بيت أهل الزوجة وهي عادة معروفة وطرقة مألوفة حتى انه لم يقع منه يلحق بالزوجة وأهلها معرة كبيرة[4]، وجرت العادة أن يعطيها شيئا مقابل الخلوة بها زائد على الصداق[5].

الصداق أو المهر: هو مقدار من المال أو المتاع يقدمه الرجل للعروس، وأن الصداق منحة للمرأة رغبة في الاقتران بها، والمال حق خالص للفتاة والمفروض أن يقدم المهر كله عند العقد، ولكن قد يجري أن يقدم نصفه وثلثه ويؤخر الباقي، وكان متبعا خلال العهد الزياني، وهو يتماشى مع مستوى الناحية الاجتماعية، ويكون عدم المبالغة في المهر، قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم"خير المهر أيسره مؤونة"[6]. والصداق عند البادية لا يسمون صدقاتهم ولا يشهدون عليها

---

[1]- عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص184.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص200.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص304 . ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص288.

[4]- عبد المالك بكاي، المرجع السابق ،184.

[5]- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب 781ه 782ه/1379م 1380م، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتح: ماريا خسيوس بغيرا، تق: محمود بوعياد، الجزائر، دط، عاصمة الثقافة، وزارة الثقافة 2007، ص109.

[6]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص ص200 201.

وقت العقد لكن عند الابتناء، ويضيف أن الصداق عندهم معروف مقدار لا يزاد بجمال ونحوه ولا ينقص بقبح أو غيره[1].

وقد كان في المجتمع الزياني مرتبطا بالناحية الطبقية كما كان يحدد بالدنانير، وهو ما يؤكده لمازوني بقوله عمن عقد على ابنته البكر النكاح من فقير بمائة دينار ذهبا وهو لا يعلم ما عنده إلا قيمة عشرين دينار، لم يكن الصداق مقتصرا على الدنانير فقط بل كان يشمل الأساور والملابس والفراش والمواشي في البادية كانت هي الأخرى تشكل جزءا من الصداق وتدفع أثناء نقلها من مترلها[2]. إضافة إلى الصداق يقدم الزوج إلى زوجته هدايا كالخفين والجوربين ومنهم من يقدم هدايا باهظة الثمن إلى العروس[3]، واتفقوا على أن الزواج بعدد معلوم، ويتضح من خلال الونشريسي أن من عادات الريف في المغرب أن هدية العروس يبعث بها الزوج إلى أهل الزوجة فيطعم منها أهل العروسين[4].

أشارت العديد من النوازل إلى مسائل النكاح في المغرب الأوسط وقد ركزت على الأساس على تزويج الأب لإبنته دون علمها ولا مشورتها سواء كانت بكرا أو ثيبا[5]، وكذلك انتشار ظاهرة فرار الفتاة وهروبها من الزواج المفروض عليها وهذا ما تكشف عنه نازلة عرضت على الفقيه العبدوسي ونصها "أن رجلا أشهد على نفسه بأنه زوج ابنته البكر في حجره لابن أخيه فلان وبقي ابن الأخ المذكور مدة من شهر أو نقرب منه وأتى إلى الشهود الذين شهدوا على عمه بتزويج ابنته المذكورة منه، وقبل النكاح وقال لهم أشهدوا علي بأنني قبلت وبقي مدة ومات الأب

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص305.

[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص202.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص305.

[4]- مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الإسكندرية، دط، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، ص15.

[5]- العقباني أبو عبد الله محمد بن قاسم بن سعيد التلمساني (817هـ 1467م) ،تحفة الناضر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغير المناكر، تح: علي الشنوفي، دم، دط، 1967، ص105.

وطلب الزوج ابن أخيه البنت المذكورة، فقامت البنت المذكورة وهربت مع رجل أخر، وهذا دليل على رفضها[1].

أما فيما يخص تدخل الأقارب في تزويج البنت كالعم مثلا فلا يصح في وجود الأب ولا يجوز ذلك إلا بتوكيل منه، وهذا ما تكشفه إحدى النوازل،"سئل عن رجل خطب إليه ابنته بكرا في حجره وتمت ولاية نضره فلم يجب فيها القبول ولا بالرد فقام عم البنت فزوجه من الخاطب المذكور، وعقد عليها النكاح، وأبوها حاضر ساكت لم يغير ولم ينكر ولم يقل شيئا، فلما أراد الخاطب المذكورات يضع وليمة العرس وتهيأ له زوجته وتزف على زعمه قام الأب فقال له أني لم أعطيك شيئا ولا بيني وبينك كلام ولا نكاح فلا يصح إلا بتوكيل الأب"[2].

وفي حالة غياب الأب كان الأخ هو الذي يتولى تزويج أخته لذلك تشير إحدى النوازل إلى بعض الاضطرابات التي نشأت في هذا الصدد في المجتمع الإسلامي تغير مفهوم الكفاءة، إذ كان يحق للأخوة الاعتراض على تزويج أختهم بمن لا يرونه كفؤا لها، فان الفقهاء أعطاهم هذا الحق مع تقيده بعدم الافتراء على الزوج فإذا تأكد لأخيهم الوصي أنه كفؤا لها ومضى الزواج وانعقد النكاح خاصة وأن الفتاة راضية به مطلعة على صلاح أحواله لأنهم قد تجاوزوا بعض الأخوة للحدود الشرعية في علاقاتهم بأختهم[3].

ومن العادات المتعارف عليها هي أن المرأة المتوفى عنها زوجها يأتي أخ الزوج، ويبيت عندها ويكون ذلك علامة على أن الزوج لا ينكحها بعده أحد وأنها له دون غيره، حتى أن أحيانا تدعي على أنها حامل قد يكون مظهرا لعدم قبولها، وقد تكون لتلك العادة مبررات اجتماعية مقبولة، كأن يقال: في سلوك الأخ حرصا على تحصين زوجة أخيه الميت وفاء له وحماية لها وصيانة

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص89. ينظر: زهور أربوح، المرجع السابق، ص88.

[2]- نفسه، ج3، ص339.

[3]- زهور أربوح، المرجع السابق، ص80.

من الامتهان[1].إن لم يشأ ذلك زوجها لغيره مقابل الحصول على مهرها، وإلا خلى سبيلها وتركها لتتزوج بمن تشأ على شرط أن تتنازل عن كل ما ورثت، ويسمى زواج الميراث[2]

الصداق، يتمثل في تقديم لها ملحفة وقطن وفراش من القطيفة علاوة على هدية الطعام[3]. هذا فيما يخص الزواج الشرعي تفيدنا بعض النوازل بأن بعض طالبات الزواج في قرى المغرب ممن وصفهن بأنهن من أهل التهم والدناءة في قدرهن وليس لهن ولي كي يقصدن أمام مسجد القرية، ليتولى تزويجهن دون إذن من قاضي الحاضرة، وذلك على أساس أن إصلاح شأنهن يتم بالزواج[4].

كذلك وجدت نساء ممن عرفن بالفساد ورغبت في الزواج فكن يهجرن بلادهن ويترلن حواضر أخرى مجاورة حيث يعلن التوبة في الجامع وكان القضاة وأهل الفتوى يأذنون لهن بالزواج بعد إثبات أنهن طارئات على الموضع ويصدقن بأن ليس لهن أزواج، واعتادوا أهل المغرب على أن ينكحوا المرأة لمالها[5].ليتصرف الزوج في أملاك زوجته، ونلاحظ تدخل الأب في ابنته حتى بعد الزواج[6].

كان بعض الرجال يقومون بخطف النساء والهروب بهن ثم يتزوجنهن فقد وجه رجل أبناء قبيلته إلى قبيلة أخرى بغرض خطف فتاة وإحضارها إليه بغرض الزواج منها ويسمى زواج الخطف[7]، وأيضا هناك زواج الأسر ويتم هذا الزواج بأن يتزوج الرجل من صبية أو أكثر من الذين أسرن في معركة من المعارك[8]، ويلاحظ في نفس السياق انتشار الانحرافات الغير أخلاقية قد يتزوج

[1]- ربوح أزهور، المرجع السابق، ص87.
[2]- عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص187.
[3]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص11.
[4]- نفسه، ص ص14 15.ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص121.
[5]- الونشريسي، نفسه، ج3، ص112.
[6]- ربوح أزهور، المرجع السابق، ص104.
[7]- عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص187.
[8]- نفسه، ص188.

الرجل المرأة على أنها بكر فيجدها عكس ذلك[1]، أو يتزوجها فتكون حاملا من غيره، أو تكون في ذمة زوجها الأول وتكتم ذلك عن زوجها الثاني، وقد أفتى الفقهاء بأن المرأة العالمة بذلك ومن غير إكراه الولي لا يحل لها الصداق، لأن هذا الفعل يدخل في باب الغرر بزوج الثاني[2]، وهناك أيضا من تزوج بامرأة ضنا منه أنها انقضت عدتها من زوجها الأول فإذا هي لم تنقض بعد[3].

2_الطلاق:

قد كانت للمشاكل الزوجية دور كبير في إحداث الطلاق، ومن أسباب هذه المشاكل، النزاع بين الزوجين بسبب رغبة الزوجة في زيارة والديها على فترات متقاربة كل يومين أو ثلاثة، في حين يريد الزوج الحد من ذلك وأن يكون بين الزيارة والأخرى فترة تطول بعض الشيء وكان رأي الفقهاء وأهل الفتوى المغاربة الذين عرضت عليهم تلك المشكلة أو من حق الزوجة وواجبها زيارة والديها وأخوتها، وتكرار ذلك ما لم يصل إلى حد الإكثار[4].

كذلك كان من بين المشكلات التي تقوم بين الأصهار مشكلة رجل زوج ابنته البكر، فطلب الزوج الدخول، غير أن والدها رفض مدعيا أن به برصا، واحتكم إلى القاضي الذي أرسل إليه طبيبين من العدول لفحصه والتثبت من صدق هذا الادعاء أو كذبه بمعنى التحقق ما إذا كان الزوج حقيقة يعاني من مرض البرص الشديد الذي يسبب الضرر والعدوى، وفي هذه الحالة يحق للزوجة عدم الدخول والطلاق[5]، يفيدنا الونشريسي بأنه قد تحدث مشكلات أسرية بسبب غياب الأب عن أسرته في المشرق لتجارة أو للحج عدة أعوام، وتنقطع أخباره بحيث لا يدرون حياته من مماته، وقد تتقدم زوجته إلى القضاء بطلب السماح لها بالزواج من أخر، ولكن القضاة كانوا يتشددون عليها بأن لا تتزوج بأخر، إلا بعد اليقين من وفاة زوجها الأول، وأن يشهد بذلك بعض

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 395.

[2]- نفسه ، ج3، ص109.

[3]- نفسه، ج3، ص 401.

[4]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 206.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص93. ينظر :أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص22، ينظر: ربوح أزهور، المرجع السابق، ص140.

الشهود والعدول، أو يحدد القاضي لها أجلا، فإذا لم يعد زوجها خلال تلك الفترة يعطي لها الحق في أن تتزوج بعد الانتهاء الأجل المحدود[1]،كذلك اشتراط الأب تطليق الزوج لزوجته الأولى حتى يزوج ابنته[2].

3_ دور المرأة ومساهمتها في الريف على العهد الزياني:

لقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها وأوضح لها واجباتها نحو زوجها وأطفالها ومجتمعها، وإنزال الفوارق التي كانت بين النساء، كما أزالها بين الرجال، إلا بالعمل الصالح والتقوى وحث الرجال على معاشرة النساء بالمعروف وتركهن بالمعروف. لقوله تعالى:"وعاشروهنّ بالمعروف"[3]. وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بهن خيرا[4].

وبالرغم من القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد على المرأة الريفية إلا أنها أسهمت بدور بارز، في تدبير شؤون المترل[5]. والقيام بأعبائه، وتربية الأطفال وكانت تنشط في مجالات أخرى كالغزل والخياطة[6]. وهذا ما تضمنته نوازل "المعيار"للعديد من الأعمال التي كانت تقوم بها النساء بالمغرب الأوسط، كغيرها من نساء المغرب الإسلامي، وهذه العمال تدخل في سياق المشاركة العفوية للرجال، في أعمال الفلاحة والزراعة وغيرها.

وهناك إحدى النوازل التي تشير إلى أعمال المرأة الريفية، عرضت على ابن عتاب، تتصل برجل وهب لابنته الصغيرة دارا واختار لها هبة تامة صحيحة، ثم بعد ذلك أشهد على نفسه أن يصيرها إليها تصييرا[7]، فأجاب"بأن التصبير اعتصار، وتكرى الدار لابنته إن شاء الله"، وأجاب غيره

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص93. ينظر :أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص23.
[2]- الوشريسي، نفسه، ج3، ص225 .
[3]- سورة النساء، الآية،19 .
[4]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1، ص 192.
[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 198.
[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 192.
[7]- زهور أربوح، المرجع السابق، ص315.

أن التصبير اعتصار، وأن الدار تكرى لابنته بالتصبير ويحتاج في هذا أن يعرف أن الابنة كانت ممن يعزل العدل الكثير"[1].

وتشير نازلة إلى الأعمال التي تقوم بها المرأة، ولا تزال تقوم به في الأرياف، ولعل هذا يتلاءم مع طبيعة البيئة والمحيط الذي تعيش فيه المرأة وإلى جانب الأعمال المترلية، كانت البنت تغزل الصوف مقابل المال، وفي هذا السياق، أن المرأة كانت تحظى بحرية تامة في التصرف في مالها[2].ورفع المستوى المادي للبيت، وكانت أيضا تبيع اللبن، والزبدة والنسيج وحتى الدجاج[3]، إلى جانب هذا كانت تقوم بأعمال أخرى، وهذا ما تدل عليه أيضا بعض النوازل، مثل السقي، الرعي، وشؤون الزراعة[4].وتشير أيضا إلى جريمة ارتكبت في حق المرأة."سئل عمن هرب بامرأة ثم أزيلت منه،فوقفت بمكان الإستبراء، فكان الهارب مجاورا لها، أو كان يلتقي معها إذا خرجت للاستقاء أو الغسل أو للحطب على عادة أهل البادية"[5].

ومن النازلة نستنتج أن المرأة كانت تقوم بوظائف إلى جانب الرجل وإن ما اعتادت المرأة المعاصرة في البوادي، أن تقوم به إنما يعود إلى عهود قديمة تشهد به هذه النازلة[6].وهناك نازلة واحدة أشارت إلى مهنة مخصوصة لدى النساء، وهي وضيفة الماشطة، فكانت تتولى مهمة التزين والتجميل خاصة في الأعراس[7]."فسئل ابن عرفة عن امرأة ماشطة تزوجت رحلا واشترطت عليه عند عقد النكاح، ألا يمنعها من صنعتها، فقيل ذلك منها، ثم أراد منعها، فأجاب:لا يلزم الوفاء بالشرط، قيل أن صنعتها لا تجوز فواضح، وإن كانت جائزة، فتجرى على مسألة إذا اشترطت أن

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص 128.

[2]- زهور أربوح، المرجع السابق، ص 316.

[3]- أبوا زيد عبد الرحمان بن محمد الانصاري الازدي الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تح و تع: ابو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي ، و اخرون، مطابع الدجوي، القاهرة، دط، 1972، ج2 ، ص343.

[4]- ربوح أزهور ، المرجع السابق، ص 316.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج4 ، ص475.

[6]- ربوح أزهور، المرجع السابق، ص 316.

[7]- مصطفى كمال ، المرجع السابق ، ص 16.

يخرجها من بلدها، وظاهر المدونة عدم اللزوم واستحب غير واحد الوفاء للحديث، ومال اللخمي إلى الوجوب وحكاه عنه ابن شهاب، وقال به بعض الموثقين"[1].

وتعني فقد يبني عدم لزوم وفاء الزوج بشرطه، على ما إذا كانت الوظيفة غير جائزة للنساء، ثم أن وظيفة المرأة هنا لا تخل بالآداب العامة، فهي محصورة في عالم النساء، وغالبا ما يتم ذلك في البيوتات[2].كما كانت النساء أيضا يشتغلن كقابلات في القرى، فكانت القضاء يلجئون إليهن لحل بعض المشاكل الأسرية[3].

وتميزت المرأة المغربية في القرى والبوادي باهتمامها لجمالها[4].وهو الأمر الذي دفع بكثير من خلفاء المشرق، إلى الحسنوات من بلاد المغرب[5]، ويذكر الحميري أن نساء البربر موصوفات بالحسن[6]. وكنّ يتصرفن في حوائجهن سافرات الوجوه، فتخرج إلى السوق[7]."فقد سئل ابن محسود عن شهادة من تخرج امرأته إلى السوق، فأجاب أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي بأنه لا يجرح روحي ولا ولي، إذا ترك زوجته أو وليته، تخرج إلى السوق، إلا أن يعلم منها فسادا فيتركها، فيه ولا يمنعها، وهو قادر فحينئذ لرد شهادته، فأجاب الشيخ أبو علي ناصر الدين، بأن من كانت له زوجة تخرج وتتصرف في حوائجها بادية الأطراف والوجه، كما جرت بذلك عادة البوادي، أن في إمامته لا تجوز ولا تقبل شهادته، ولا يحل أن تعطى له الزكاة إن احتاج إليها، وأنه لم يزل في غضب الله ما دام مصرا على ذلك"[8].

---

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج 3، ص ص278- 279.

[2]- زهور أربوح، المرجع السابق، ص 317.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج4 ، ص 54.

[4]- أبي ربيعة سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني، سير الوسياني، تح و در: عمر بن لقمان بو عصابة، وزارة التراث الوطني، عمان، ط1، 1430هـ_2009م، ج1، ص ص168 169.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 95.

[6]- محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، مطابع هيد ليبيرغ، لبنان، ط2، 1984، ص 600.

[7]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 292.

[8]- الونشريسي، المصدر السابق، ج 11 ، ص 165. ينظر:عبد الوهاب بيني منصور ، المرجع السابق، ج1 ، ص 355.

ومن خلال النازلة نستنتج أن أهل الريف لا يحجبون نسائهم ولا يؤخذونهم على ذلك بل بالعكس يوافقن على ما هن عليه، وهذا ما دعا إليه الفقهاء يتخذون من هذا موقفا، ضد أزواجهن.وهناك نقطة يجب الإشارة إليها أن المرأة الريفية في المغرب الأوسط، كانت في معاناة ومشقة[1]، كما تعرضت المرأة الريفية لعدة جرائم منها الاغتصاب كما ذكرنا سلفا، إلى جانب القتل، وهذا ما أكدته "نوازل المعيار"فهناك نازلة تتصل، بقتل امرأة من قبل زوجها وأخرى بالاعتداء الجنسي، الذي راح ضحيته فتيات أكرهن على الاغتصاب[2]. وهناك نازلة كمثال على ما ذكرنا:"سئل القاضي بن ورد عمن قامت عليه بينة أنه قتل زوجته ولها منه ابن ومن غيره، ابن هل يقتل؟ لم يرفع عنه القتل بسبب ابنه ويغرم نصف الدية لابنها من غيره"[3]،وتعرض النازلة إقدام الزوج على قتل زوجته[4].

وكان البدو ينظر إلى المرأة كأداة متعة ونسل ويرغب في أن تلد له غلمانا يكاثر بهم غيره ويقوي بهم مكانته في القبيلة ويديم بهم بقاءه من بعده[5]، وتميزت المرأة الريفية بعلاوة أخلاقها ونذكر منهم الشيخة الصالحة، عائشة بنت الأكحل[6].وستم بنت الشيخ أبي علي حسين بن الجلاب، العالم الفقيه صاحب القلم والمال[7].وبالتالي فإن المرأة الريفية في المغرب الأوسط حظيت بمكانة مهمة رغم المعاناة في بعض الأحيان، واستطاعت أن تسلط الضوء على أهم أ عمالها، التي كان معظمها من خاصة الرجال، وإبراز دورها في المجتمع الريفي الذي كان مقترنا بالسمة الرجالية، حيث سيطر الرجل على كظاهر الحياة الدينية والفكرية والاقتصادية والسياسية.

---

[1]- كانت المرأة تشارك الرجل في شؤون الحياة، تحطب وتسقي و تحلب الماشية ونسج الملبس و الخيمة ، ينظر: عبد الوهاب بن منصور، نفسه، ج1، ص 354.

[2]- زهور أربوح ، المرجع السابق ، ص 316.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 72.

[4]- زهور أربوح، المرجع السابق، ص 320.

[5]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 354.

[6]- عائشة بنت الفقيه العالم القاضي أحمد بن الحسن المديوني كانت من الصالحات ألفت مجموعة من أدعية، وكانت لها قوة في تفسير الرؤيا. ينظر:ابن مريم ، المصدر السابق، ص 212.

[7]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 294.

المبحث الرابع: العادات والتقاليد في الريف على العهد الزياني.

1_الأعياد:

لقد أصبحت عادات وتقاليد المجتمع الريفي في المغرب الأوسط في العهد الزياني مستوحات من الدين الإسلامي، ومن العادات التي تتعلق بالمواسم، العادات التي تسبق شهر رمضان تسمى شعبانه يقوم الناس فيها بتحضير الولائم[1]، أما العادات التي صاحبت رمضان هي الأبواق التي تتحدث عنها العقباني في تحفة الناظر فيقول :"و أما بوقات بلادنا فإنها مفزعة ولذا ينفر منها الحمار، لذا جرى عليها العمل إنما تستعمل في المساجد والجوامع في شهر رمضان ليستيقظ النائم للسحور"[2].

ويتوج صيام شهر رمضان بعيد الفطر، فقد ذكر الونشريسي فتاوى القاضي أبو القاسم بن سراج عن من سمع بظهور هلال شوال[3]، والإفطار وإضرام النار لأهل القرى الأخرى برؤية الهلال فقال : "وأما القرية إن لم يكن فيها قاضي ولا من يعتني بارتقاب الهلال فيعتمد على من أخبره من أهل العدالة أنه رآه وأن كان واحد سواء كان من أهل القرية أو غيرها أو يكتفي أيضا بخبر واحد عدل بحصول الرؤية على شرطها في القرية الأخرى "[4].

وكان أهل الفتوى المغاربة يرون أنه لا يجوز أن يبني الإنسان في رؤية الهلال على عدلين فأكثر[5]، أما عيد الأضحى فكان مصاحبا لفريضة الحج التي هي من أركان الإسلام، وكانت لها مكانة خاصة عند سكان الريف واحتفلوا في الترحاب حيث يقول العبدري في هذا الصدد:"وقد

---

[1]- عبد الملك بكـــاي، المرجع السابق، ص142.

[2]- العقباني، المصدر السابق، ص ص 41 42.

[3]- كمال مصطفى، المرجع السابق، ص 43.

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص، ص 410 ،412

[5]- كمال مصطفى، المرجع السابق، ص 44.

شاهدت جمعا من الحجاج بنيفون على ألف وردوها ووقفوا إلى ملكها ... واحتفل في السلام عليهم، ثم أخذ ينادي : يا أهل الدوار هؤلاء ضيفان الله من يحمل منهم الى بيته واحدا"[1].

ومن العادات أيضا عيد الأضحى وأحياء السنة بتقديم الأضاحي، فقد تعرض البرزلي في فتاواه عن أضحية العيد فقال :" سأل السيوري هل يعطى من الأضحية للأجير ولمن يرجو أن ينتفع به بسبب يعطيه : مثل من يخدم امرأته ومعلم ولده والسقاء لهم بالأجرة وليس مما تدخل في الآخرة لكن مكارمه بسبب خدمته واستقامته، وهل قبل في الأولاد إنها غلة كالأصواف واللبن فتكون الأضحية بالخروف اخف من غيره"[2] .

وحرص أهل الريف أيضا على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف رغم عدم إجازة الفقهاء لذلك وإقامة احتفالات[3]، وكانوا يحتفلون بميلاد الأطفال ويقيمون العقيقة على شرفهم ويطعم منها الأقارب والفقراء، وإقامة سابع الولادة والتي هي العقيقة[4]، حيث سئل سيدي علي بن محسود عن طعام العقيقة الذي كره مالك الدعوة إليه ،إضافة إلى هذا فإن أهل الريف كانوا يحتفلون بختان الأولاد [5]، ومن عاداتهم سابع الميت فيقول الونشريسي :" وعن أهل موضع إن مات لهم ميت يصعد أحدهم في ربع النهار في منار الجامع الأعظم ويقرأ شيء من القرآن "[6].

ومن البدع عند الوفاة قيام النساء بالبكاء ولطم الوجه والصراخ وإحضار النوائح والنوادب وتقوم النساء بالخروج إلى المقبرة برفقة الجارات[7]، وكان لأهل الذمة والنصارى عاداتهم في المغرب الأوسط ومن أعيادهم عيد العنصرة أو المهرجان وهو عيد ميلاد يحيى عله السلام '

---

[1]- أبي عبد الله محمد بن محمد علي بن أحمد بن سعود العبدري 700ه_1300م،الرحلة، تح و تق: علي ابراهيم كروي، الشاكر الفخام، دار سعد الدين دمشق، ط2، 1426ه 2005م ، ص 48.

[2]- البرزلي، المصدر السابق، ج1، ص 605

[3]- التنسي، المصدر السابق ، ص 162. ينظر : عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 282. محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج2، ص 372.

[4]- كمال مصطفى، المرجع السابق، ص45.

[5]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج1، ص381. ينظر : كمال مصطفى، المرجع السابق، ص 45.

[6]- الونشريسي، المصدر السابق ، ج 6، ص 420.

[7]- كمال مصطفى، المرجع السابق، ص 42.

إضافة إلى النيروز وهو عيد الربيع، حيث يذكر الونشريسي في فتاواه إن المسلمين كانوا يشاركون النصارى في الاحتفال به، وكانت لهم طقوس خاصة بهذه الأعياد نذكر على سبيل المثال، حم الخيل ونشر الثياب إلى الندى في الليل، إضافه إلى أنهم يتهادون بمختلف الأطعمة.

2_ الأخلاق والطبائع :

لقد تمخض عن طبيعة الحياة التي كانت تعيشها المجتمعات الريفية في قمم الجبال بروز مجموعة من القيم والأعراف القبلية التي تتلائم وطبائع هؤلاء السكان[1] فهم أناس ماهرون حسبما يشاهد من وجود الأعمال المختلفة التي ينجزونها ن وهم ذوي تربية فائقة، حتى لا تكاد تصدر عنهم إساءة، وتنطق ألسنتهم بالحق[2]، وهم غاية في الإقدام والشجاعة[3]، يوفون بالعهد فوق كل شيء ويؤثرون الموت على خلاف الوعد، ولا حد لغيرتهم على النساء، كما أنهم يهبون أرواحهم بدل أن يتحملوا العار في حق نسائهم والنساء بالمثل [4]ولأحد لحرصهم على المال والشرف[5]، وعزة نفس ونخوة[6].

فيذهبون إلى جميع الأقطار للاتجار، إضافة إلى الحشمة والأمانة في حديثهم، لا يجهرون بالسوء من القول البتة، يحترم صغيرهم كبيرهم ، سواء في الكلام أو في أي مناسبة أخرى حتى إن الشباب منهم لا يتحدث عن الحب أو عن الفتاة التي يهواها بمحضر أبيه أو عمه، كما يستحي أن ينشد أغنية غرامية بمجرد ما يرى أكبر منه، وسكان الخيام أي الأعراب والرعاة ذو كرم ورحمة

[1]-عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين، 5و6ه/11و 12م، دراسة اقتصادية و اجتماعية، مذكرة ما جيستير، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسنطينة، 1434ه_2013م، ص272.

[2]-الوزان ، المصدر السابق، ج2، ص، 86.

[3]-الإدريسي، المصدر السابق ، ص 158.

[4]- البكري، المصدر السابق ، ص ص 187 188.

[5]- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص87

[6]-الادريسي، المصدر السابق، ص 159.

وشجاعة وحلم ولطف وألفة، يعيشون عيشة راضية في الطاعة والدين وبشاشة ومرح [1]، وهم بدورهم كرماء[2]، شجعان يحسنون الكلام ويحبون حياة جماعية شريفة.

تلك هي العادات الحسنة وتقاليد التربية المستحسنة ،وكأي مجتمع لا يخلو من مساوئ وعادات سيئة، بحث هناك من يعيش منهم معيشة ضنكة ويبقون في بؤس وخصاصة على الدوام، وهم جفاة ولصوص وجهال لا يردون اطلاقا ما اقترضوا من المال ، والأزواج المخدوعون عندهم أكثر من غيرهم ويمكن لجميع الفتيات أن يكون لهن عشاق قبل الزواج يذقن معهم حلاوة الحب، ويرحب الأب بعشيق ابنته أجمل ترحيب، كما يفعل الأخ نفس الشيء بحيث لا توجد امرأة تزف بكرا إلى زوجها، وبمجرد زواجها يذهب عنها عشاقها ويذهبون إلى أخرى ، وهؤلاء يعيشون كالبهائم[3].

3_ تصديق السحر والخرافات وحب الأولياء:

يمتاز سكان ريف المغرب الأوسط بميلهم واعتقادهم بالمغيبات والسحر وانتشار الكهانة منذ ما قبل الإسلام[4] ،ومثل هذه العقلية تكون سريعة الانقياد للزعماء والقادة الذين يعرفون استغلال هذا الضعف، ورغم اعتناق البربر الإسلام واستمرت الكهانة كظاهرة اجتماعية، فكان في قبيلة غمرت كاهن يسمى موسى بن صالح المشهور عندهم وكان يتنبأ بأن يكون لزناتة من الملك والتغلب على أحياء وقبائل والبلدان [5]،ويذكر الوزان بقوله : "أن أحد النساك كان يقيم في سهل خالي فالتف حوله السكان واعتبروه من الأولياء وصدقوا خرافاته وسحره، وانتشر صيته في كامل إفريقيا، ويعظم الأعراب هذا الرجل ويقدرونه، ومن الأشياء التي أطلعني عليها بعض الكتب الخاصة بالسحر والكيمياء محاولا أن يبرهن لي على أن السحر علم لدرجة إني جعلت اهمه بأنه

[1]- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 88 89.
[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91.
[3]- الوزان، المصدر السابق، ص 88.
[4]- عمير سكينة، المرجع السابق، ص 279.
[5]- عبد المالك بكاي، المرجع السابق، ص156.

ساحر، وذلك لأني رأيت الناس يبالغون في تقديسه وتعظيمه دون أن يفعل أو يقول يخترع شيئا أخر عبر ما وصفه من دعاء الله بأسمائه الحسنى "[1].

ومن الأدلة أيضا أن أهل زناتة كانت لهم معرفة بالغة وحدق وكياسة ويد جديدة في العلم الكف ولا توجد من أعلم منها في هذا الشأن[2]، والمعروف أن البربر كانوا يصدقون كل شيء جديد يدخل حياتهم وهم سريعوا الاندماج والتصديق بهذه الخرافات والبدع.

وصدق أهل الريف الأولياء والصلحاء والتبرك بهم وزيارة الزوايا[3]، مثل مسجد الجدار الذي كان يقصده الناس للتبرك وهو موجود في تلمسان، ومما تقدم أن الثقافة البسيطة وانتشار الأمية وشيوعها والحاجة والفاقة في أوساط السكان الريفيين، جعلهم يلتفون حول الأولياء والصلحاء حتى حول الكهانة والمشعوذين لأنهم كانوا ينتظرون منهم الخلاص ويرجعون فيهم الملاذ، ولأنهم المناهضون الأقوياء للسلطة الحاكمة والمنقذون في فترات القحط والجفاف في اعتقادهم[4].

4_ اللباس والأكل:

أ_اللباس:

يختلف اللباس في المجتمع الريفي في العهد الزياني حسب المكانة أو العرق أو المهنة، حيث يلبس ابن الجبل لباس أمثاله من أهل الجبل ويلبس العربي لباسا عربيا[5]، وقد تأثر العرب من بني هلال الذين حطوا رحالهم بضواحي تلمسان باللباس التلمساني ومظاهره، فاتخذوا العمائم التلمسانية والبرنوس الزناتي، والبرينسات الصغيرة المعروفة عند أهل تلمسان باسم " الغفارة" لباسا

[1]- الوزان، المصدر السابق، ص ص 28 29.
[2]- الادريسي، المصدر السابق، ص 158.
[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 148.
[4]- عميور سكينة، المرجع السابق، ص 281.
[5]-مختار حساني ، المرجع السابق،ج3، ص 118.

لأطفالهم حتى أحدثوا أزمة البرينسات في أسواق تلمسان لشدة الطلب عليها، ولا سيما قبيلة بني عامر وكانوا يفرشون الأسرة والحصيرة والحنابل ويغطون بالملاحف ويتوسدون المخاد أو الوسائد[1].

وإن لم يعثر على تفاصيل كثيرة عن الملابس فيجب علينا الرجوع إلى ما قبل عصر بني زيان وهو العصر الموحدي لأن تلك الملابس لا تتغير بين عشية وضحاها، قد ذكر ابن صاحب الصلاة[2] وهو من علماء تلمسان قال:أنعم عليهم السلطان بالكساء والعمائم والغفافير والبرانس والأكسية تحصل كل فارس على غفارة وعمامة وكساء وقبطية وشقة في نص أخر يقول كما جمعهم بالقباطي والقمص والغفافير والعمائم، وأعطى الكسوات للموحدين والأشياخ من كل رتبة وللطلبة والعرب فأعطى كل واحد ستة أثواب عمامة وغفارة وقبطية مبطنة وكساء[3].

أن كثر الملابس انتشارا في المغرب الإسلامي ومنها الأراضي الزيانية لأن ملابس هذه القبائل في البوادي امتداد لما كان عليه في العهد الموحدي، ونظرا لثراء الريف بالمغرب الأوسط بمختلف المواد الأولية، صوف وكتان وجلود، فاستخدمها أهل الريف في صنع الألبسة فقد ذكر الوزان أن أهل برشيك كان يشتغل معظمهم بحياكة الأقمشة[4]، وكان أهل هنين يعملون في القطن والمنسوجات وكذلك أهل ندرومة[5]، ويذكر ابن خلدون في العبر عن لباس أهل الري فيقول :" ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف ويشتملون الصماء بالأكسية المعلمة، ويفرغون عليها البرانس الكحل ورؤوسهم في الغالب حاسرة "[6].

---

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 269.

[2]- عبد الملك ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 1987. ص ص7، 18.

[3]-مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 119.ينظر: الونشريسي ، المصدر السابق،ج4، ص246.يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص40.

[4]-حسن الوزان ، المصدر السابق ،ج2، ص33.

[5]-نفسه ، ص ص 13 14.

[6]- ابن خلدون ، العبر، المصدر السابق،ج6، ص 116.

ومن الطبيعي أن يختلف الرجال في لباسهم عن النساء في الأرياف والمدن على السواء، فبالنسبة للباس المرأة الريفية بالرغم من قلة الإشارة إليه ما عدا النوازل الفقهية عموما[1]، "كنبوش الحرير ،و ثوب زردخان ومن حلفة قطن...طلبت الزوجة من زوجها ثوبا يقيها من البرد من ملحفة قطن أو شاية ملف، وطلبت أيضا فراشا من قطيفة وغيرها ..."[2]،"لحافها وبساطها والافرشة "[3]، إضافة إلى لبس النساء النعال الصرارة فيلبسنها ويمشين بها في الأسواق ومجامع الناس وعن نازلة منع النساء في لبسها والمشي بها في الأسواق وربما كان رجلا عاقلا، فسمع صريرا ذلك الخف فيرفع رأسه[4]، وبالنسبة للمتصوفة كانوا يرتدون الألبسة الصوفية[5].

ب_الأكل:

نادرة هي الدراسات التي تتحدث عن الغذاء والطبيخ في الريف عامة وفي المغرب الأوسط خاصة لندرة المصادر التاريخية الفقهية وحتى المنقبية التي تتطرق لهذا الموضوع ويعتبر الغذاء من أولى المؤشرات نعرف من خلالها المستوى المعيشي، ومن خلال تتضح معالم الفقر والغناء في أي بقعة على الأرض[6]، وبطبيعة الحال فغذاء المدن يختلف عن غذاء القرى والبوادي، وبما أننا نتحدث عن المجتمع الريفي الذي هو مجتمع فلاحي[7]، بالدرجة الأولى يعتمد على خدمة الأرض والرعي[8].وهذا ما جعل معظم المناطق الريفية تزخر بمختلف أنواع الأغذية ذات الأصل الحيواني والنباتي، مثل الألبان والاسمان والعسل، والفواكه[9].

---

[1]-عميور سكينة، المرجع السابق، ص267.

[2]-الونشريسي، المصدر السابق، ج3 ، ص 100.

[3]-نفسه، ج3، ص116.

[4]- نفسه، ج6، ص 420.

[5]-التادلي، المصدر السابق، ص112.

[6]-عميور سكينة ، المرجع السابق، ص258.

[7]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 170. ينظر محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية، المغرب، ط1، 1420ه_1999م، ص 149.

[8]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 214.

[9]-نفسه ، ج3، ص113.

ولقد كانت الحبوب وعلى رأسها القمح والشعير، هي الغذاء الأساسي وخير دليل على ذلك كثرة الأرحاء[1]، ويصنع دقيق القمح والشعير والخبز الذي يعتبر أهم مادة في تغذية السكان، ولعل خبز الشعير هو الأكثر تناولا وشهرة عند سكان الأرياف[2]، وكان يصنع عادة في المنازل وتقوم النسوة بطهيه في الطاجين، وتأتي أكلة الكسكسي[3] في مقدمة المأكولات وكان هذا النوع من الطعام يوميا كوجبة للغذاء والعشاء وفي بعض الحالات يكون مصنوع من الشعير مثل الخبز، وهناك العصيدة التي تصنع من الدقيق الرفيع ويضاف إليه الزبدة والسمن، في المناطق الرعوية[4] وهناك أيضا الهريسة التي تطبخ بالحم والقمح ولحم الدجاج مع زيت الزيتون[5].

أما المتصوفة فكانوا يتقشفون في معاشهم زهدا بالرغم أن الكثير منهم كانوا ميسوري الحال، ويكثرون من أكل الشعير بالشحم والإيدام، وعرفت الأرياف أكل الخليع والقديد المعروف بالمسلي.

[1]- البكري، المصدر السابق، ص ص 76،77.

[2]- التادلي، المصدر السابق، ص 302.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص265.ينظر:محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص275.

[4]- مختارحساني، المرجع السابق، ص 113.

[5]- نفسه ،ج3، ص 114.

المبحث الخامس: الأوضاع الصحية في الريف على العهد الزياني:

1_أسباب حدوث المجاعات والأوبئة:

إن المتتبع للمصادر التي أرخت للفترة الزيانية والمتمعن فيها، يجدها قليلة الاهتمام بظاهرتي المجاعات والأوبئة اللتان كانتا بمثابة لعنة عانى منها المجتمع التلمساني خلال حكم بني زيان لبلاد المغرب الأوسط[1]. رغم أهميتها وتأثيرها على صحة الإنسان ونمو السكان والاقتصاد والعمران[2].

فقد أورد ابن منظور في لسان العرب مفهوم الأوبئة والجاعات في قوله:" أن الجوع : اسم للمخمصة، وهو نقيض الشبع، والفعل جاع يجوع جوعا. أما الوباء (جمع الأوبئة): فهو كل مرض يحدث بصورة سريعة، أعداد هائلة من الأعمار الهائلة والأجناس"[3].

لقد شكلت المجاعات والأوبئة خطرا حقيقيا على حياة السكان في ريف المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، وبالبحث عن أسباب حدوث المجاعات والأوبئة نجد هناك نوعين : الطبيعية والبشرية.

الأسباب الطبيعية: نذكر الجفاف الذي كان من الظواهر المألوفة في بلاد المغرب الأوسط[4]. والكوارث طبيعية والظروف المناخية قاسية بحيث ساد المنطقة القحط[5]، حيث يقول ابن خلدون: "قبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في أخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة، فيقل احتكار الزرع غالبا، وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة، فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوي، ويضعف ويقل ويكثر الزرع والثمار والضرع على نسبته، إلا

---

[1]-خالد بلعربي، المجاعات و الأوبئة بتلمسان في العهد الزياني 698_845ه/1299_1422م، مجلة كان التاريخية، كلية الأداب و العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد الرابع،2009م، ص20 .

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 243.

[3]- ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص، ص 616،618.

[4]-خالد بلعربي، المرجع السابق، ص20.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص253.

أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلى الزرع وعجز عنه أولوا الخصاصة فهلكوا، وكان بعض السنوات مفقود فشمل الناس الجوع"[1].

كما كانت العواصف البردية والقوية التي كانت تحدث في أخر كل الخريف تسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية، التي تؤدي إلى منع الحرث والبذر، وتفسد الخضر والفواكه وتؤدي إلى إتلافها[2]. يذكر ابن مرزوق أن تلمسان كانت"أشد بردا وتجلدا"[3]. وقد انتشر الغلاء والجراد والقحط في سنة 617هـ[4]، حتى وصفها صاحب القرطاس:"المجاعة العظمى"[5] وداهم الجراد بلاد المغرب فأتى على المحاصيل بجميع أنواعها فأرتفع القمح ومختلف المواد الغذائية فعمت المجاعة بسببه، وانعدمت به الأقوات، وقلت مردودية الأرض فتضرر الإنسان والحيوان معا[6]. وقد وصفه ابن الخطيب قائلا:"عظم الجفاف وعصفت الريح الرجف"[7].

أما الأسباب البشرية: لحدوث المجاعات والأوبئة فقد كانت الضرائب الغير مشروعة التي ساهمت في إفقار قطاع واسع من المجتمع، ذلك أن الدولة الزيانية كانت تقرض ضرائب ثقيلة ومتنوعة لحاجتها المتزايدة إلى الأموال لتهيئة الجيوش واستعداد للحروب[8]. ولقد كان النشاط الفلاحي يمثل حجر الزاوية بالنسبة لعالم البادية[9]، فكانت الزراعة أكثر الإقطاعات تضررا من السياسة الجبائية لأنها قوام الحياة بالمغرب الأوسط[10]، فإن أي خلل يصيب هذا النشاط يؤثر حتما على الغذاء والإنتاج معا، وقد كانت السياسة الجبائية التي فرضتها بعض السلاطين بني زيان كارثة على

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص،282 .

[2]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص21.

[3]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 222.ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص256.

[4]-عبد العزيز فيلالي، نفسه، ج1، ص253.

[5]-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية و الموحدية، تح: جعفري الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، 1418، 1997، ج2 ص 264.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص253.

[7]-نفسه، ج1، ص245.

[8]-خالد بلعربي، المرجع السابق، ص22.

[9]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 48 49. ينظر: ابن مرزوق، المصدر السابق، ص147.

[10]-خالد بلعربي، المرجع السابق، ص21.

الفلاحين حيث أرغموهم على دفع الضرائب لتعزيز شركة الدولة ومنه فقد المزارعون كل الحوافز للعمل والإنتاج حيث اضطروا إلى هجرة أراضيهم،كما عمد بعضهم إلى تقليص مساحة الإنتاج التي يملكها بتقطيع أشجارها ونتف زروعها، وفي ظل اقتصاد معيشي مهدد بالكوارث الطبيعية فإنه يؤدي إلى تراجع في الإنتاج ويدفع المجتمع إلى وهدة المجاعة[1]،

إذن فإن تراجع النشاط الفلاحي بسبب ثقل الضرائب يؤدي حتما إلى نقص القوت، والسلع المجلوبة من البوادي إلى المدن فتكون نادرة الوجود في الأسواق فترتفع أثمانها، لهذا يحدث الغلاء في الأسعار الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى حدوث المجاعة، إضافة إلى هذه الحروب والفتن التي تعتبر من أبرز الكوارث التي هددت حياة وأمن الإنسان في المغرب الأوسط غالبا ما يلجأ العدو المحاصر أيضا إلى شل الحركة التجارية داخل المدينة المحصورة من أجل تجويع الناس، وذلك بوقوفه حاجزا أمام القوافل والجلابين للبضائع الوافدين عليها [2] :

لم تكن المدن هي المتضرر الوحيد من الحصارات والحروب بل كانت وطأتها شديدة على البوادي والقرى وكثيرا ما كانت البوادي أوقات الحروب عرضة لعمليات السلب والنهب التي تشمل المزروعات والأنعام من قبل الجيش المار بها حتى يضمن غذاؤه فضلا عن عمليات التخريب والحرق وإتلاف الزروع، عندئذ يصابون بالفقر عاجزين عن دفع ما عليهم من كراء وضرائب ونظرا لأن البوادي هي الممول الرئيسي للمدن بمختلف المنتوجات الضرورية، فإن الحركة التجارية كانت تتعطل في أوقات الحروب والفتن سواء سبب نقل المحصول أو الخوف من التنقل فترتفع أثمان السلع الغذائية في أسواق المدن نتيجة قلتها فتحدث المجاعة وأيضا بسبب قلة اهتمام الناس

[1]- خالد بلعربي، نفسه، ص ص21 22.

[2]- مزدور سمية، المرجع السابق، ص 89.

بادخار وتخزين الطعام[1]. وكذلك من أسباب انتشار الوباء تلوث الهواء والماء فيقول ابن خلدون في هذا الصدد :"الوباء سببه في الغالب فساد الهواء لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة"[2].

وأيضا ما أورده العقباني على انعدام النظافة بإلقاء الأزبال فتتأذى المارة[3]. ويحدث الوباء أيضا لهبوب الرياح وكثرة الأمطار فيفسد الجو كثيرا وتنشأ حمى حادة تشتد على أكثر الناس ولا ينجوا منها إلا القليل[4]، تختلف الإصابة بالوباء من مجتمع لأخر بحسب طبيعة كل مجتمع ونمط عيش أفراده فتكون المناطق الأهلة بالسكان أكثر عرضة من غيرها نظرا لتولد العفن والرطوبات التي تفسد الهواء وبخلاف الأرياف التي تقل فيها الأمراض بسبب نقاء هوائها لقلة العفن والرطوبات[5].

يسلم من هذا الوباء أهل العمود (أهل الخيم) والرحالين من العرب بافريقية والمناطق التي يسود فيها نمط عيش البداوة وذلك لعدم انحسار الهواء في مثل هذه المناطق وبالتالي قلة إمكانية فساده وخصوصا من يغلب عليهم الطابع الرعوي[6]، وفي هذا يقول ابن خلدون:" أن أهل البوادي أغذيتهم غير متنوعة فضلا عن أن أهل الأمصار قليلو الرياضة فهم ساكنون على الدوام في حين يمارس أهل البوادي رياضات عدة كركوب الخيل والصيد وغيرها ".[7] تختلف الإصابة بالوباء بين فئات الناس حسب طبقاتهم وأجناسهم وأعمارهم فالضعفاء أكثر عرضة للوباء.

2_المجاعات: (مجاعة 776 هـ/1374م):

واشتملت هذه السنة على مجاعة شديدة[8]، حدثت في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني وصفتها المصادر بالمجاعة الكبرى والعظمى، مما يثير الانتباه أن هذه الكارثة لم تقتصر على تلمسان

---

[1]- مزدور سمية، المرجع السابق، ص 94.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص282.

[3]- العقباني، المصدر السابق، ص، ص65،67.

[4]-حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص79.

[5]-مزدور سمية، المرجع السابق، ص124.

[6]- نفسه، ص125.

[7]-ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 386.

[8]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص325 326. ينظر: ابن قنفذ، المصدر السابق، ص149.

الزيانية بل امتدت لتشمل مناطق أخرى من العالم حيث وصفها ابن قنفذ بقوله:"وفي هذه السنة 776هـ كانت المجاعة العظيمة بالمغرب وعم الخراب به"[1]، يمكن إرجاع أسباب هذه المجاعة التي اجتاحت المغرب الأوسط إلى الإعصار الشديد الذي اجتاح بلاد المغرب الأوسط[2]، يؤكد ذلك يحي ابن خلدون الذي عاصر هذه المجاعة بقوله:"نتجت عن إعصار عظيم أهلك زرع صائفة تلمسان وحيوانها فأكل الناس بعضهم بعضا، وافتقروا إلى ما لدى السلطان"[3].

فالحروب التي خاضها أبو حمو موسى الثاني خلال فترة حكمه وما رافقها من فتن داخلية كان لها دور كبير في تضرر الفلاحة وبالتالي حدوث هذه المجاعة لذلك لم يجانب ابن خلدون الصواب عندما ذكر أن المجاعات تحدث نتيجة "لقبض الناس أيديهم عن الفلح أكثر سبب، ما يقع في أخر الدولة من الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة"[4].

3_الأوبئة: (وباء الطاعون 845هـ/1446م):

ظهر هذا الوباء في عهد أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو موسى الثاني ،فقد اجتاح مرض الطاعون الكثير من قرى المغرب الأوسط التي كانت تحت حكمه، حيث أتى على الكثير من سكانها والملاحظ أن هذا الوباء كان له نفس الوقع على المجتمع التلمساني فإذا كان الطاعون قد أتى بصفة خاصة على الصغار الذين لم يبلغوا أوان الحلم فإنه كذلك على الضعفاء وأهل الشظف[5]، ولم يسلم منه حتى ابن زاغوا المغراوي التلمساني الذي توفي، 845هـ/1441م[6]، وهذا دليل على أن هذا الوباء أصاب العامة والأسياد والشيوخ بدون تمييز[7].

---

[1]- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص149.

[2]-خالد بلعربي، المرجع السابق، ص22.

[3]-يحي ابن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص11.

[4]-خالد بلعربي، المرجع السابق، ص ص22 23 .ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص254.

[5]-خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 23

[6]- التمبكتي، المصدر السابق، ص630.

[7]-خالد بلعربي، المرجع السابق، ص ص24 25.

يتضح مما سبق مدى الضرر الذي أحاط بالسكان والحيوان والاقتصاد وعمق التأثير على الحياة الريفية، إلا أن القحط بالرغم من كثرة حدوثه في بلاد المغرب كان أقل إبادة من الوباء ويصيب ضرره سكان الأرياف والبوادي أكثر من سكان المدن ولا سيما العواصم الذين كانوا يدخرون المؤن من قمح وشعير وزيت وسمن وغيرها من المواد الغذائية التي يطول خزنها.

4_الأمراض:

لقد ساعد بدون شك على ارتفاع عدد الوفيات بالمغرب الأوسط، سوء التغذية والأمراض الوبائية، وفي أوساط الطبقة الفقيرة لانتشار الأوبئة وقلة النظافة نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يمرون بها وتقلب الأحوال المعيشية وحرية التنقل الإنسان والحيوان على نطاق واسع، ومن بين الأمراض التي عانى منها :

أمراض الأسنان التي يضن أنها ناشئة عن كون هؤلاء القوم يشربون الماء البارد فور تناولهم الحساء الحار[1]، ويعد مرض الفالج من اخطر الأمراض التي هددت حياة سكان المغرب الأوسط خصوصا وانه شمل كل فئات المجتمع تقريبا ومنهم الصلحاء أيضا[2]، مرض البلعوم (الحنجرة)الذي ينجم عنه التهاب الحلق ،فترتفع درجة الحرارة المريض وكذلك الحيوانات كانت عرضة لأمراض خطيرة أيضا هددت حياتها[3].

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص83.

[2]- مزدور سمية، المرجع السابق، ص 125

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص19.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية بمدن المغرب الأوسط على العهد الزياني

المبحث الأول: التركيبة الاجتماعية بمدن المغرب الأوسط على العهد الزياني.

المبحث الثاني: الفئات الاجتماعية بالمدن على العهد الزياني.

المبحث الثالث: الحياة الأسرية بالمدن على العهد الزياني.

المبحث الرابع: العادات والتقاليد بالمدن على العهد الزياني.

المبحث الخامس: الأوضاع الصحية بالمدن على العهد الزياني.

المبحث الأول : التركيبة الاجتماعية بمدن المغرب الأوسط على العهد الزياني.

1 _تعريف المدينة في المغرب الأوسط:

أطلق المؤرخون على المغرب الأوسط خلال القرن 07هـ_13م اسم المملكة الزيانية، نسبة إلى الأسرة الحاكمة[1]، ووصف العمري المغرب الأوسط في كتاب مسالك الأبصار:"هو مملكة كبيرة وسلطة جليلة، ذات حاضرة، وبرّ وبحر"[2].

وقد تميز المغرب الأوسط بكثرة مدنه، وكانت أهم مدينة فيه تلمسان التي تعد عاصمة الدولة الزيانية وهي الإداري للمدن، وجاء على لسان الفقهاء أن مواضع المدن هي التي تجمع في خمسة أشياء: النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب والسور الحصين، والسلطان إذ به صلح حالها "[3].

وبمقارنة هذه الشروط مع مدن المغرب الأوسط، فيلاحظ أنها متوفرة فيها من خلال الموقع الجغرافي فهي بين السهول والبحر في الشمال، والصحراء في الجنوب، والهضاب والجبال في الشرق والغرب، ووجود الأنهار وعيون الماء، والسهول المحيطة مكنتها من توفير الغذاء للمدينة[4]، وعن مدن المغرب الأوسط يقول الإدريسي في مؤلفة نزهة المشتاق في اختراق الأفاق:" وفيه من بلاد المغرب الأوسط، تنس، برشك، الجزائر، بني مزغنة، تدلس، بجاية، جيجل، مليانة..."[5]. وإبان العهد الزياني كانت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط[6]، وكانت تضم المدن التالية:"مديونة، ندرومة، نوتت، مستغانم، تنس، هنين، برشك، شرشال، مازونة، مليانة، وهران، الجزائر... ".

---

[1]-عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف الإسلامية، الإسكندرية، دط، 1993، ج2، ص 304.

[2]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 149.

[3]-ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 349.

[4]- سعد زغلول، المرجع السابق، ج 2، ص 455.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 67.

[6]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5 ،ص 151

– أهم مدن المغرب الأوسط على العهد الزياني:

تلمسان: عاصمة المغرب الأوسط على العهد الزياني، فيقول عنها الوزان، أنها مدينة كبيرة، وهي عاصمة المملكة، لم يتذكر التاريخ مؤسسها، وكل ما يقال أنها كانت مدينة صغيرة، بدأت تمتد أثر تخريب أرشكول، وخصوصا بعد طرد جنود المنصور بن أبي عامر من المنطقة، وقد توسعت أيام بني عبد الواد[1].

ندرومة: أسس هذه المدينة الرومان قديما، عندما كانوا يحطمون المنطقة، تقع على بعد ميلين من الجبل واثني عشر ميلا من البحر المتوسط[2].تقع على طرف جبل تاجرة، وهي ذات موقع هام حيث يمكنها هذا الموقع من السيطرة على السهول الواسعة، توجد من الناحية الشرقية والغربية للمدينة[3]، لا تزال أسوارها كاملة ولكن دورها دمرت، ثم أعيد بنائها، تقع حولها بساتين عديدة وأراضي مغروسة تشتهر بكثرة الصناعة فيها، خاصة أقمشة القطن [4].

هنين: مدينة صغيرة قديمة، بناها الأفارقة وهي أنيقة لها ميناء صغير محروس ببرجين، كل واحد منهما في جهة، وتهبط بها أسوار عالية، متينة يأتي إلى هذا الميناء سفن من البندقية، يجني منها تجار تلمسان، أرباحا جسيمة كان سكانها في القيم نبهاء، شرفاء، يعملون كلهم تقريبا في القطن، والمنسوجات، يبعد عن ندرومة بأربعين ميلا[5].

وهران:مدينة كبيرة، بناها لأفارقة على شاطئ البحر المتوسط بعيدة بنحو مائة وأربعين ميلا من تلمسان، وبها البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس وحمامات وفنادق محاطة بأسوار عالية، جميلة يقع جزء من المدينة في السهل، والجزء الأخر في جبل شديد الارتفاع، وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة، ويعيش الكثير من ودورهم في غاية الجمال،

[1]– الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص17 20.
[2]– نفسه، ص 13.
[3]–صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 265.
[4]–الوزان، المصدر السابق، ج2 ، ص14.
[5]– الحميري، المصدر السابق، ص 597.

والزخرفة[1].وقد كانت وهران[2]، قرية بربرية، اسمها افري، أي الكهف، ثم وسعها الأندلسيون عام 902م، أهلها ضرفاء كرماء، يحبون الغرباء، كانت مهبط التجار القطلونين والجنويين، ومازال بها دار تسمى دار الجنوبيون لأنهم كانوا يقيمون بها[3].

مستغانم:مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، على بعد ثلاثة أميال شرقي، مدينة وهران، كانت لها حضارة كبيرة وسكان كثيرون ولكن الأعراب يكثرون من مضايقتها منذ إن بدأت سلطة تلمسان تضعف، فيها مساجد وصناع كثيرون ودورها جميل في خارجها عدة بساتين أراضيها خصبة، لها ميناء صغير كثيرا ما تقصده السفن الأوروبية.

برشيك: تقع على الساحل البحر المتوسط، بعيدة عن مستغانم بعدة أميال[4]، يسكنها أناس كثيرون، خشنون، ويشغل معظمهم بحياكة الأقمشة، وتكثرت الخيرات في برشيك، وأهلها خلفاء الجبلين المجاورين، وبذلك تمكنت المدينة من الدفاع عن نفسها طوال مائة العاصمة وبجاية، وفي المدينة الكثير من أثار عمارات الرومان وأبنيتهم[5].

شرشال: تقع على الساحل المتوسط، بها سور شاهق مبني بأحجار ضخمة منحوتة، ويظهر منها قرب البحر، مسجد كبير عال جدا ما زال محرابه قائما إلى الآن، يحيط بالمدينة أراضي فلاحية جميلة واشتغل مكانها، بصناعة الحرير وبها أشجار، لا تحصى من التوت الأبيض[6].

مليانة: أطلق عليها اسم كنانة، اسماها الملك الصنهاجي بلكين بن مناد، تقع هذه المدينة في قمة جبل، على بعد نحو أربعين ميلا من البحر، والمدينة محاطة بأسوار عالية عتيقة، وبمليانة دور متقنة

---

[1]-الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص، ص16 ، 30.

[2]-مدينة وهران: ما يثير انتباه ابن حوقل فيها مرساها، ويقول عنها"أنها في غاية السلامة والصون" ينظر: صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 214.

[3]- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص، 31 32.

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص 590.

[5]- الوزان، المصدر السابق، ج2 ، ص 32.

[6]- نفسه، ص34.

الصنع، وفي داخلها صناع حتى يكاد يكون سكانها كلهم صناعا[1]، ويصفها صاحب الاستبصار، بأنها مدينة حصينة في سفح جبل ولها مياه سائحة وأنهار وبساتين[2]. ويصفها البكري وصفا مقتصرا فقال عنها:"فهي مدينة رومية، فيها أثار وهي ذات أشجار وأنهار تطحن عليها أرجاء[3].

تنس: تقع المدينة في منحدر جبل، على مسافة قريبة من البحر الأبيض المتوسط[4]، أحاط جزء من السهل وجزء من الجبل فتحت فيه أبواب عديدة، وشرب أهلها من واد كبير، وتمكن أهلها من ربط علاقات وطيدة مع أهل الأندلس، يعبر إليها الأندلسيين بمراكبهم لتجارة، يقول عنها البكري:" تنس بينها وبين البحر ميلان وهي على نهر يسمى نتاشين."[5]

مازونة: تقع على بعد نحو أربعين ميلا، من البحر، وتحيط بها أسوار متينة جدا، وكثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل الأعراب، وبالتالي أصبحت قليلة السكان وهم أما نساجون أو فلاحون، الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات ويشاهد قرب المدينة أماكن عديدة مما قد بناه الرومان[6].

الجزائر: معناها الجزر، سميت بذلك لأنها مجاورة، لجزر ميروقة، ومنورقة، ويابسة، لكن الإسبانيون يسمونها "ألجي" والمدينة القديمة من بناء قبيلة افريقية تدعى مزغنة، فأطلق عليها القدماء اسم الجزائر بني مزغنة، وهي مدينة كبيرة جدا أسوارها مبنية بالحجر الضخم، وفيها دور جميل وأسواق منسقة كما يجب لكل حرفة وكأنها الخاص، ويحيط بها عدد من البساتين، والأراضي المغروسة بالأشجار، الفواكه، ويمر قرب المدينة من الجهة الشرقية، نهر تصب عليه طاحونات، وفي الضواحي سهول جميلة، لاسيما سهل متيجة وكانت الجزائر خاضعة لملك تلمسان في عهد الدولة الزيانية[7].

---

[1]- الوزان، المصدر السابق، ج2 ، ص 35.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص، ص 69،61.

[3]- صالح بن قربة، المصدر السابق، ص 250.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 34.

[5]-البكري، المصدر السابق، ص 61.

[6]- الوزان، المصدر السابق، ج2 ، ص 36.

[7]- الوزان، المصدر السابق، ج2 ، ص38.

تاهرت: يصفها ابن حوقل فيقول:" إن تاهرت[1] مدينتان، الأولى أزلية والثانية محدثة، فعليها سور وهي محصنة طبيعيا، بها مسجد الجامع، وشرب أهلها من الواد ومن العيون، وهذه العيون غزيرة، تسقي جنائنها، وتزيد نتاجها، وأن توزيع المياه داخل المدينة كان منظما، تنظيما يدل على ما وصل إليه أهل تاهرت من النمو وتحضر، حيث تدخل المدينة حالها حال فاس إلى أكثر، دورها ساقية السكان وبساتينهم وجنائنهم المنتشرة[2].

أرشقول: توجد هذه المدينة على الساحل ومنها تصدر تلمسان سلعها عن طريق البحر، وأرشقول ساحل تلمسان، يقول البكري:" بينها وبين تلمسان سهل واسع يسمى سهل زيدور، خاصة أن هذا السهل تسقيه أنهار مثل تافنا[3]، وهو يزيد أرشقول تحصينا بحيث يقبل من قبلتها ويستدير بشرقيها وهو بذلك مسلكا نهريا، مهما تدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة[4].

بجاية: تقع على ساحل البحر المتوسط، وهي من أهم المدن في المغرب الأوسط، واشتهرت المدينة بنشاطها الاقتصادي فيذكر الإدريسي أن أهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصنائع ما ليس بكثير من البلاد كما لها مزارع تتوفر فيها المحاصيل الزراعية كالحبوب والفواكه[5].

مليانة: إحدى مدن المغرب الأوسط، وهي مدينة كبيرة، وصفها صاحب الاستبصار بأنها مدينة حصينة في سفح جبل، ولها مياه سائحة، وأنهار وبساتين[6].

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص 67.

[2]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 214.

[3]- تافن: هو نهر وهو مصدر مياه شرق المدينة و سقي زراعتها. بنظر: صالح بن قربة، نفسه، ص 263.

[4]- صالح بن قربة، نفسه، ص ص، 263 264.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 90.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص 69.

تشكل المجتمع في المغرب الأوسط على العهد الزياني من خليط من الأجناس سكنوا المدينة، وهم أما من أصل عربي أو بربري، وتحضروا منذ ألاف السنين، استوطنوا المغرب الأوسط ومدنه[1]، ونذكر منهم:

2_البربر:

شكل البربر أهم عنصر سكاني داخل المدينة في المغرب الأوسط على العهد الزياني، ويعود البربر إلى قبائل وبطون متعددة ولعل من أهمها:

زناتة: تعد أهم قبيلة بربرية سكنت المدينة، ويؤكد ذلك عبد الرحمن ابن خلدون:" المغرب الأوسط وطن زناتة"[2].و أهم مناطق سكنا زناتة[3]،هي وهران، تلمسان، معسكر، تيهرت، ويمكن تحديد مضاربها من تلمسان غربا، إلى نهر شلف شرقا، ومن ساحل شرشال شمالا إلى تيهرت جنوبا، وقد كانوا يقومون بالرحلة بين التل والسهوب، والواحات الصحراوية، وقد زاد نفوذ الزناتيون في القرن السابع هجري، بدأ تأسيسهم للدولة، وينسب هؤلاء لبني واسين" بني مرين، بني عبد الواد"و كان لها الأثر الكبير، على الأوضاع الاجتماعية، ومما يلي شعوب زناتة:

مغراوة: يقول عبد الرحمن ابن خلدون:" كانوا أوسع بطون زناتة وأهل البأس والقلب منهم"[4]، ويرجع نسب مغراوة إلى بن يصلتن بن مسرا بن جانا وهم إخوة لبني يفرن ومن بطونهم، بني يلفث، بن رنداك، بني رواو بني ولرمير، بني أبي سعيد، بني ورميعان، بني الأغواط بني ريغة سكن بنوا مغراوة في المغرب الأوسط ما بين تلمسان إلى شلف، إلى جبل مديونة.

---

[1]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج1، ص 42.

[2]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 7، ص 7.

[3]- زناتة: من ولد بانا أو زانا، بن يحي بن ضريس، وهم من أكثر شعوب البربر على الإطلاق تسمو ذروة الملك و الإمارة في الإسلام مرات عديدة فاستوطنت المغرب الأوسط و ملأته حتى سمي ون زناتة.ينظر: عبد الوهاب منصور، المرجع السابق، ص 311.

[4]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص11.

بنو يفرن: وصفهم ابن خلدون فقال عنهم:" هؤلاء من شعوب زناتة وأوسع بطونهم"[1]، ويعود نسبهم إلى يفرن بن يصلتن بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك، بن ديرت بن جانا، وهم إخوة بني مغراوة وبنو يرنات وبنوت واسين وأشهر شعوبهم بنوا واركوا مرنجيسة.سكن بنو يفرن المغرب الأوسط ناحية تلمسان قرب جبل راشد وقد كان رئيسهم لعهد انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس أبو قرة اليفرني الخارجي وأبو يزيد الخارجي، الذي خرج على الدولة الفاطمية في المغرب[2].

ومانوا ويلومي: يقول ابن خلدون:" وكانت هاتان القبيلتان من أوفر بطون زناتة وأشدهم شوكة ومواطنهم جميعا بالمغرب الأوسط"[3]. وبنو وماتوا منهم إلى جهة المشرق عن وادي منباس ومرات وما إليها أسافل شلف. وبنواي لومي بالعدوة منه بالجعبات والبطحاء وكان لمغراوة وبني يفرن التقدم عليهم في الكثرة والقوة.

كومية: كانوا يعرفون قديما بصطفورة أو صدفورة[4]، سكنت قبيلة كومية قرب تلمسان في المنطقة الممتدة ما بين المدينة إلى غرب وهران على طول الساحل، تعامل أفراد القبيلة مباشرة مع المدينة بالبيع والشراء، انقسمت إلى بطون وفروع متعددة نذكر منها، "اندرجوا"[5]، قام سكان هذه القبيلة بساحل تلمسان برز منهم ابن عبد المكلف الذي حاول الاستقلال بقومه في أوائل المائة الثامنة فسجن على إثرها وقتل فيها بسبب خروجه على الدولة الزيانية ونذكر كذلك " بني سنوس" الذي برز منهم القائد يحي بن موسى السنوسي. "بني يلول ومطغرة" سكنت ما بين جنوب تلمسان إلى سجلماسة حيث انشئوا القصور وزرعوا الراضي بالنخيل في منطقتهم[6].

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص12.
[2]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج 1، ص 42.
[3]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 7، ص 07.
[4]- عبد الوهاب منصور، المرجع السابق، ص 309.
[5]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 104.
[6]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 63.

3_ العرب:

إضافة إلى العنصر البربري فقد عرفت بلاد المغرب الأوسط، على العهد الزياني عناصر عربية مشرقية، فقد حطت عصا الترحال، بمدينة تلمسان منذ دخول الفاتحين المسلمين لها بهدف نشر الإسلام[1]، ومن القبائل العربية نذكر:

المعقل: يعدهم السابقون العرب من بطون بنو هلال ورجح ابن خلدون أن يكونوا من ولد معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث[2]، كانوا يسكنون قرب البحرين مع القرامطة قبل دخولهم المغرب[3]، ومع اقترابهم من المغرب الأوسط انقسموا إلى قسمين قسم توجه نحو شمال المغرب الأوسط ما بين وهران وتلمسان والقسم الأخر نحوسجلماسة[4]، وقد اشتهر عرب المعقل[5].باحترام النفس ومن فروعها:مختار، وعثمان، حسان[6].

والقبيلة الثانية التي سكنت المدينة هي **بنو سليم:** وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان ويقدمون قرب نهر درعة وينتقلون عبر الصحراء وهم أثرياء وممتلكاتهم عديدة وأراضيهم كثيرة[7] ولم يدخلوا إلى المغرب حتى تمكن إخوانهم الهلاليون والمعقليون من ناصيته، واستولوا على حواضره[8]. ومنه يمكن القول أن علاقة البربر والعرب اتسمت بالتمازج بينهما وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:" يأخذون بمذاهب العرب في زيهم ولغتهم وسائر شعائرهم"[9].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص172.

[2]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 424.

[3]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط2، 2000، ج2، ص 95.

[4]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 414.

[5]- المعقل: أهل إقامة وحضر ولبسوا أهل البادية و انتجاع. ينظر: عبد الوهاب بن منصور، نفسه، ص 414.

[6]- الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 49.

[7]- نفسه، ص53.

[8]- عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 428.

[9]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 116.

4_ الأقليات:(الأندلسيون_النصارى_اليهود...).

_**الأندلسيون:** إن الحديث عن الأقليات التي عاشت في المجتمع الزياني فإننا نخص بالذكر الأندلسيين لأنهم أكثر حضورا وتأثيرا ببلاد المغرب الأوسط فقد كان توافد العديد من الأسر الأندلسية، نتيجة ظروف سياسية شهدتها الأندلس[1]، وزيادة التعامل المسيحي على بلادهم وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:" فلما تكالب الطاغية على العدوة والتهم تغورها واكتسح بسائطها وأسف إلى قواعدها وأمصارها، جاز الإعلام وأهل البيت إلى أرض المغربين (الأوسط)..."[2].

ويقصد بهذا أن المهاجرين الأندلسيين الذين نزلوا بمدينة تلمسان كانوا من الأعلام وأهل البيوتات ومن وجوه القوم وأعيان الأندلس، قد استعان بهم أمراء بني زيان في تسير أمور دولتهم، وقد عني بهم، وكرم نبهائهم وأعيانهم وأعطي لهم الحق في السكن وتملك الأراضي خاصة من طرف السلطان يغمراسن، حتى يشعرون بالأمن الذي فقدوه في وطنهم ومعابدهم، لأداء طقوسهم الدينية، وأن عددهم غير كبير بحيث لا يزيد عن بعض العشرات من كل دولة وكانوا يقيمون في الفنادق ولهم دكاكين لبيع سلعهم وكانت إقامتهم تتسم بالهدوء والاطمئنان[3].

_**الأسرى:** لقد ارتفع عدد الأسرى في بداية القرن 8ه_14م بسبب الحروب والغازات المتبادلة بين الشطين الشمالي، والجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، فقد استفاد الزيانيون من المسيحيين (الأسرى) في بناء وأعمال مدينة تلمسان، أما عن تأثيرهم في المجالين السياسي الاجتماعي فإنهم لم يزدوا خدمات كبيرة في هذا المجال، إلا أولئك الأعلج الذين يعتنقون الإسلام ويصبحون موظفين في إدارة الدولة وجيشها.

-**اليهود:** عاش اليهود مع بداية الدولة الزيانية، في أطراف تلمسان في حي خاص بهم يضم أكثر من خمس مائة دار، وكانوا بحالة اقتصادية جيدة، فقد عملوا بمهن متعددة أهمها التجارة والذهب

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص173.
[2]- ابن خلدون،العبر، المصدر السابق، ج6 ، ص 675.
[3]- نفسه، ج6، ص676.

والفضة والأسلحة والخياطة، وقد كان يقال هذه حارة الدباغين وحارة السباغين، والخياطين، وقد قدمت جاليات منهم بعدما طردهم الرومان وقد عاشوا في كنف[1].

إذن فالحديث عن عنصر الأندلسيين في المجتمع الزياني بالمقارنة مع بقية العناصر شكل نوعا من الاستقلالية والتميز فقد حددت درجة الثقافة ونوعيتها حاجة الأمير إليها[2].

_النصارى: إن المسيحيين المتواجدين بمدينة تلمسان في العهد الزياني ليسوا من بقايا القدماء وإنما من النصارى الذين قدموا إليها في هذه الفترة وينظمون إلى أربعة أصناف[3]:

الجند: لقد استخدمهم يغمراسن بن زيان بعد مهلك عساكر الموحدين، فانتقلت خدمتهم إلى الزيانيين فاستكثر بهم معتدا بمكانهم، مباهيا بهم في المواقف والمشاهد[4]، واستخدمهم أبوا حموا موسى الأول وبعد الحصار الطويل الذي تعرضت له مدينة تلمسان من قبل المرينين، واستخدمهم أبوا حموا موسى الثاني، في جيشه وصنفهم ضمن مماليك خاصة لحراسته، وفي هذا الصدد يقول يحي ابن خلدون صاحب بغية الرواد:" فاستركب الحرم وحمل الموال وأكل بذلك الخصيان والنصارى المستخدمين"[5].

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 193 194.
[2]- نفسه، ص ص 187 188.
[3]-ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 113.
[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ،ص 188،192.
[5]- نفسه، ج1، ص 192.

المبحث الثاني: الفئات الاجتماعية بالمدن على العهد الزياني.

1_الحكام:

هي الأسرة الحاكمة، وتظم هذه الفئة العليا في المجتمع، السلاطين والأمراء من بني عبد الواد وأبناء عمومتهم،[1]والحجاب والوزراء وكتاب الدواوين والولاة وقادة الجيش،[2]وقد انحصرت السلطة في دولة بني عبد الواد.[3] تحتل فئة الحكام مكانة خاصة في الدولة ،واليهم ينتمي يغمراسن بن زيان، الذي يمثل السلطة المركزية من الناحية الإدارية[4]، وكانت تعيش عيشة مترفة تتصدر المجتمع بحكم موقعها[5].

ويمكن إضافة بعض الموظفين إلى الشريحة المتميزة من الذين كانوا يشغلون مناصب حساسة، كالقضاء والفتية والخطابة والجباية والحسبة ،وكانوا يحصلون على امتيازات وعطايا وهي عبارة عن عقارات سكنية في المدينة أو أراضي زراعية، يقدمها السلطان لمساعديه، كالإقطاعات التي قدمها يغمراسن للفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي[6] [680هـ_1280م]، في المدشر المعروف "بتيرشت"[7]،التي أقطعت بعد انقراض عقبه لأبني الإمام[8]، وبنى لهما مدرسة ومترلين، وكذلك منح لشيوخ قبيلة بني عامر، إقطاعات عقارية كثيرة، وكانت هذه الإسهامات تقوم بها

---

[1]-التنسي، المصدر السابق، ص 109.

[2]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 211.

[3]-يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 202.

[4]-مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص85 [4]

[5]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 202 [5]

[6]_ ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام ابو اسحاق التنسي المطماطي: عالم مالكي من أهل تنس، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في اقطار المغرب، درس بتلمسان له عدة اعمال .ينظر:عادل نويهض، المرجع السابق،ص ص، 84 85

[7]_تيرشت: يقع بمقربة من الحنايا على اميال من تلمسان،ويذكر التنسي في نظم الدر انه لم يتوصل لمعرفة هذا المكان. ينظر:عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 212. التنسي، المصدر السابق، ص 125

[8]_الفقيهين ابني الإمام، ابي زيد[ت 743ه_1349م]، وابي موسى [750ه_1349م]. ينظر عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص212. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص15

الدولة، وفي نفس الوقت تعمل على إنهائها بسبب الإقصاء السياسي والإعفاء عن المنصب أثناء الخروج ضد السلطة[1].

2_الفقهاء والعلماء:

يقول الله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾[2]. فقد مثلت فئة العلماء والفقهاء في المغرب الأوسط طبقة هامة في الهرم الاجتماعي، وقد ساعدتهم العديد من العوامل للانتشار العلمي والمعرفي في الفترة الزيانية[3]، فقد تعرض الونشريسي ضمن نوازله وفتواه لبعض الفئات، ومن أهمها الفقهاء الذين كانوا يشكلون طبقة متميزة ويحضون بمركز اجتماعي مرموق، وكان معظمهم ينعم بالثراء واحترام الناس[4]، ومن الذين تناولوا هذه الفئة أيضا، السلطان أبو حمو موسى الثاني ن فقال عن الفقهاء:"أما الفقهاء فإنهم مصابيح الدين وبهم تقام الشرائع، وتسد الذرائع، وتعتصم بهم الأهواء والبدع، ويعتز بهم الإسلام ويرتفع"[5].

وقد لقي الفقهاء العلماء تكريما عظيما الدولة الزيانية، كان مبعثه الحركة الفكرية، وكان الفقهاء مستشارين للسلاطين، ومضفين في الدولة الزيانية ومن أبرزهم: الفقيه عبدون الحباك، الذي كان له خبرة في الميادين المالية والإدارية، بالإضافة إلى العلوم الفقهية[6]،وقد عرفت الدولة الزيانية أيضا عائلات علمية امتدت طول الفترة الزيانية، التي اجتهد الخلفاء الزيانيون على استجلابها من الأندلس، كعائلة العقباني[7]،التي كان لها دور في الحركة الثقافية، وعائلة المرازقة

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص21.

[2]-سورة فاطر، الآية :28

[3]-سعيد عيادي، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي، دارالنشر بن مرابط،دم، دط، 1432ه_2011م، ص، ص 269 273.

[4]-أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 34

[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3،ص 94

[6]-نفسه، ج3، ص 94

[7]-عائلة العقباني: هي عائلة ميسورة الحال بمدينة تلمسان ، تحترف العلم والتجارة، وتولى بعض أفرادها وظائف هامة في الدولة.ينظر :عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ،ج1، ص 214 .مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 95. مصطفى كمال،نفسه ص124 .ينظر: أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة قونتانة الشرقية، الجزائر، دط، 1364ه/1906م، ص 74.

الأندلسية، وهي الأخرى كانت تشتغل بالعلم والتجارة والفلاحة[1]، وعائلة المقري[2]، التي تعد من أكبر بيوتات العلماء في المغرب الأوسط، والتي ضاع صيتها في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية.

3_المتصوفة:

يتعرض الونشريسي لفئة المتصوفة الموجودين في المغرب الأوسط ،الذين انقطعوا للعبادة من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وتعليم أبناء المسلمين، وامتازوا بالعلم الوافر وشدة الورع والتقوى[3]، ويذكر الفقيه العقباني أن ما فعله هؤلاء المتصوفة من قول أو فعل فهو حسن، "وأكثرهم مثنى عليه شرعا، وليس فيه إن شاء الله موضع للنهي"[4].

ومن ابرز المتصوفة أبا مدين شعيب[5]، وأب الحسن التنسي، وقد ذكرت العديد من المصادر منها: الوفيات لابن قنفذ القسنطيني، واحمد بابا التمبكتي، صاحب نيل الابتهاج، وابن مريم، صاحب البستان،تراجم المتصوفة خاصة الفترة الزيانية، منهم:محمد بن عمر الهواري[6] [ت:843هـ_1439م]، والحسن بن مخلوف الشهير بأبركان[7] [ت:857هـ_1453م] يتميز عهد الدولة الزيانية بتغلب الفكر الصوفي على الحياة الفكرية، وعلى أكثر مظاهر الحياة في البلاد، حيث نجد المصادر تتحدث عن كراماتهم ومناقبهم، واستجابة دعوتهم وزهدهم، وكان السلاطين وعامة

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 214

[2]-لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 226.ينظر: المقري ، نفح الطيب، المصدر السابق، م5 ، ص203.

[3]-أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص107.

[4]-الونشريسي، االمصدر السابق، ج 11، ص 50.

[5]-أبو مدين شعيب. ينظر:يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1،ص128. بوعلام جوهري، "القطب سيدي أبو مدين شعيب حاضرتي بجاية وتلمسان"، العلاقات العلمية و الحضارية بين بجاية وتلمسان، دار الأمل للطباعة والنشر، بجاية، 2011، ص ، ص 109 ، 113.

[6]-محمد بن عمر الهواري:الشيخ الولي الصالح، العارف بالله القطب ابو عبد الله ، كان كثير السياحة شرقا وغربا ، برا وبحرا،اخذ بفاس عن موسى العبدوسي والقباب ببجاية عن شيخه احمد بن ادريس وعبد الرحمان الوغيلسي. ينظر : ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.

[7]-الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الراشدي، ابو علي المشهور بأبركان، الشيخ الفقيه الإيمام العالم العلم، الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير، اخذ عن الإمام سيدي ابراهيم المصمودي، والإمام الحفيد ابن مرزوق وعنه الحافظ التنسي، وسيدي علي التلولي، واخوه الإمام السنوسي ولازمه كثيرا وانتفع به. ينظر : التمبكتي، المصدر السابق، ص161 .عادل نويهض، المرجع السابق، ص90.عبد القادر بوباية، العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة و تلمسان، "الروابط العلمية بين بجاية وتلمسان من خلال كتاب البستان"، وهران ، 2011، ص 101.

الناس يقبلون عليهم إقبالا كبيرا ويظهر هذا في اهتمام يغمراسن بن زيان بمكانتهم في المجتمع، حيث كان يتوجه إلى مدينة أغادير،لزيارة سيدي محمد بن عبد الله في داره التماسا لدعائه[1].

4_ التجار:

تشكل فئة التجار فئة مهمة في الدولة الزيانية، ويمكن تصنيفها من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، والقوافل التجارية التي تنتقل باستمرار بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك في الحواضر المغربية والموانئ الساحلية والأسواق[2]، وتعد عائلة المقري من التجار المعروفين في الدولة الزيانية[3]، حيث كونت ثروة هائلة من العمل التجاري، وكان بها خمسة أخوة تقاسموا الأدوار فيما بينهم.

حيث استقر اثنان منهم في مدينة تلمسان، وهي المقر الرئيسي للشركة وكانت لهم علاقات مع الحكام والملوك أهمها بلاد السودان وسجلماسة[4]. وعائلة النجار التلمسانية منهم الشيخ الصالح أبو زيد عبد الرحمان بن النجار، الذي كان يملك معامل لحياكة الصوف الرفيع، الذي اشتهرت به مدينة تلمسان، وصار آل النجار يملكون ثروة هائلة، وأيضا عائلة العقباني[5]، التي اشتغلت بالتجارة[6]،وما يميز هذه الفئة من التجار عن غيرها أن الفقهاء كانوا يمتهنون مهنة التجارة.

وقد تحدث حسن الوزان في وصف إفريقيا عن التجار فقال عنهم :"فالتجار أناس منصفون جدا وأمناء في تجارتهم يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه"[7]. وهذه العائلات تعد من كبار التجار، أما التجار الصغار فقد شكلوا عددا كبيرا في مدينة تلمسان، كانوا

[1]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 107.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 213

[3]- لطيفة بشاري زوجة بن عميرة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن 07إلى القرن 10ه/ 13_16م، در و تح: حمداود بن عمر، دار النشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، 2011، ص95

[4]- نفسه، ج1، ص ص 213 214

[5]- مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 124

[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 214

[7]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 21

يقيمون في المدينة، في الأسواق المنتشرة والدكاكين، وكان التاجر الكبير يلجأ للتاجر الصغير المستورد في مختلف الأسواق لتموين الزبائن بمختلف السلع ومن التجار أيضا المتجولين الذين يجوبون المدن المغربية، ويصلون إلى بلاد السودان مع القوافل[1].

5_ أصحاب الحرف والمهن:

من أثر الفتح العربي استقرار الحياة في المدن، مما أوجد نهضة صناعية وتجارية في العصور الوسطى الإسلامية[2]،فقد كانت الحرف والصناعات في مدينة تلمسان مختلفة ومتنوعة، تعددت معها أصناف الحرفيين ،تتجمع كل طائفة في مكان واحد وتتسمى بنوع الحرفة أو التجارة التي تمارسها، لهذا نجد الأسواق مقسمة بين هذه الطوائف المختلفة مثل :العطارين القبابين والإسكافيين والسراجين، والنجارين والدرازين والصباغين، وسوق الكتب عبر أحياء المدينة وحاراتها.

فكانت جميع الصنائع والتجارات بالمدينة موزعة على مختلف الساحات والأزقة[3]،ولاقت هذه الفئة اهتماما كبيرا من السلاطين، منهم السلطان أبو حمو موسى الزياني الذي اعتنى بالصناعة، وقدر أصحابها وشجعهم على احترافها، ومن انجازاته قام بتشييد دار الصناعة سنة [766هـ_1365م]، استقطب فيها الصناع باختلاف أجناسهم[4]، وقد تحدث عنها ابن خلدون واصفا إياها بقوله :"إن دار الصنعة السعيدة، تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم"[5].

وكانت الورشات الحرفية والوحدات الصناعية تنتج العديد من الأغطية الملونة والألبسة والأقمشة مثلا: الحايك والبرنوس، وصناعة الزرابي، وكان سهل الوريط بضواحي تلمسان يحتوي على مجموعة ورشات صناعية، أسسها المهاجرون الأندلسيون أو اليهود أو المسلمون، وقد كانت هذه الفئة تعيش حياة راقية وميسورة بسبب الرواتب المرتفعة والأرباح العالية، وقد وصفهم

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 214.
[2]-لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 202.
[3]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 220.
[4]-نفسه، ج1، ص ص 220 221.
[5]-يحي ابن خلدون ، المصدر السابق، ج1، ص 161.

حسن الوزان في قوله:"و الصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحيون التمتع بالحياة"[1]. غير أن وضعية الحرفيين والمستخدمين بالأجر اليومي، تتسم بالدخل الضعيف، مما جعلهم يحيون حياة الفقر والبؤس . كما كانت المرأة من أصحاب المهن والحرف، فالمرأة التلمسانية الحضرية التي تنتمي لعائلة فقيرة، تصنع في بيتها النسيج أما الطرز بالخيط المذهب فتحتكره المرأة الغنية الميسورة الحال .

إذن فإن نظرة المؤرخين في العصر الوسيط الإسلامي بين التقدير والتبجيل، والتنويه بالدور الاقتصادي الهام، وبين الاحتقار والتصغير، لمهنتهم وصناعاتهم إلا انه يمكن القول بأن أصحاب الحرف والمهن في المغرب الأوسط كانت تتم في إيطار الروابط الحرفية والمهنية وتنظيمها[2].

6_العبيد:

العبيد هم الخدم الذين يعملون في البيوت والحقول والمتاجر، ولاسيما عند العائلات الميسورة، فقد كان تقريبا في كل بيت تلمساني عريق خادم ووصيفة خماسية، وأكثرهم خادم عند الطبقة ذات الأموال والجاه، وكان الخدم والجواري يرافقن أسيادهم في سفرهم وترحالهم [3]،إضافة إلى الجواري التي تورث وتباع مع التركات، مثل :الحبشية التي أهداها السلطان أبو الحسن لأبي عبد الله محمد الخطيب ابن مرزوق وكانت هذه الجارية قد نشأت وترعرعت في بيت عبد الرحمان ابن خلدون، وقد لقي العبيد والخدم معاملة من أسيادهم، حيث كانوا يؤنبونهم ويضربونهم، ولا يسمحون لهم بتناول الطعام معهم[4].

[1]-حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 21.
[2]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص ص 222 223.
[3]-نفسه، ج1، ص 224.
[4]- نفسه، ج1،ص 224.

المبحث الثالث: الحياة الأسرية بالمدن على العهد الزياني.

1_الزواج:

إن الزواج في المدينة لا يختلف عن الريف كثيرا، فالونشريسي يفيدنا أن **الخاطبة**،كانت تقوم بدور هام في إتمام الخطوبة وعقد الزيجات ،كما هي العادة الآن في بعض البلدان الإسلامية حيث تتولى التمهيد للاتفاق بين أهل العروسين، ثم يذهب أهل الزوج إلى منزل العروس للتحدث مع أهلها والاتفاق معهم على كل ما يتعلق بالزواج من الصداق وهدايا وما إلى ذلك[1].

وقد أجيز للفتى أن يلاحظ الفتاة ويراها خلسة أو علنا، قبل الإقدام على الخطبة فإذا رجح لديه جانب الإيجاب وأطمأن إلى أخلاقها وشخصيتها يتقدم لخطبتها وتجري العادة أن يقدم لها شيئا يرمز إلى الارتباط[2]، وقبل الخطبة يمكن أن ترسل امرأة خبيرة بموضوع النساء أو إحدى قريبات الفتى إلى بيت الفتاة لتأتي بأوصافها، إذ لم يكونوا يعرفونها، وتتم الخطبة عند بعض الأسريين الوالدين أحيانا دون سابق معرفة العروسين[3]، ومن الأمثلة التي كان يقدمها الزوج يهدي بها زوجته ذهب وثوبين من الحرير وعقد جوهر[4].

والملاحظ بالنسبة لزواج الأقارب في المغرب كان من المعتاد أن يرسل المقبل على الزواج والده ووالدته وخاله وعمه إلى بيت والد قريبته لخطبتها والاتفاق على الصداق والنقد والمؤخر والهدية ثم يرسل بعد ذلك إلى والد عروسته النقد من الصداق والشمع الذي يبعث في تلك المناسبات ويتم الإشهار في المدينة أن فلان تزوج قريبته فلانة ويقوم قرابته وأصحابه بتهنئته ويقوم بعد ذلك بتقديم هدية مناسبة إلى عروسه.

---

[1]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص11.

[2]-مختار حساني، المرجع السابق،ج3، ص200.

[3]-عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ج1، ص288.

[4]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص11.

ويذكر الونشريسي أن أهل المغرب كانوا يميلون إلى زواج الأقارب لصلة الرحم غير أنه كانت تحدث بينهم اختلافات حول قيمة المهر أو الصداق وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران[1].

فالعائلات الميسورة فكانت تستدعي القاضي لكتابة العقد بالمنزل بعد موافقة الطرفين وبحضور أفراد العائلتين[2]، بواسطة كاتب عدل يقوم بتسجيل العقد وتحديد المهر أمام الحاضرين والمدعوين ولا يتم تسجيل عقد القران إلا بموافقة قاضي الأنكحة وبعد موافقة الطرفين[3].

الصداق: هو من أركان الزواج في الشريعة الإسلامية، ولكنه يتماشى مع مستوى الشخص من الناحية الاجتماعية[4]، ليس له حد معين بشروط مثل مقدار الصداق المقدم أو المؤخر أي الصداق العاجل والأجل وأنواع الألبسة والفرش والحلي الذهبية وغيرها، وكانت بعض الأسر تشترط خادمة أو وصيفة للعروس كما تشترط الهدية على جري العادة ويطعم الولي من صداق ابنته ويحبس منه لنفسه.

والجدير بالذكر أن الونشريسي أورد ضمن نوازله العديد من المعلومات التي تتسم بالجدة والأصالة حول بعض العادات المتعلقة بالزواج فيفيدنا أن من عادات بعض المواضع أن يتفق والد الزوجة مع الزوج على أن يكتب في عقد الزواج صداق قدره مائتي دينار ثم يرد والد الزوجة للعريس بعد ذلك مائة وخمسين دينار والواضح المقصود التفاخر والسمعة[5].

ويذكر الونشريسي أن الصداق النقد كان عبارة عن خلاخل فضية قيمتها ستة دنانير من الذهب ،أما الثياب أو الكسوة فمنها الثوب من الكتان وأخر من الحرير، وملحفة قطن وفراش من

[1]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق ، ص13.

[2]-مختار حساني، المرجع السابق،، ج3، ص ص 200 201

[3]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص، ص284، 288.

[4]-مختار حساني، المرجع السابق،ج3، ص201

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص96.

القطيعة علاوة على هدية طعام[1]، ونستدل من إحدى النوازل على أن هناك من الآباء في المغرب من كان يهب ابنته في صغرها بعض الهبات والعطايا بتجهيزها عند زواجها فهناك إشارة إلى رجل وهب ابنته خمسين رأسا من الغنم ونصف.

ومن جهة أخرى أن الرجال ينكحون النساء بالأنساب[2]، أي أن المصاهرة في العهد الزياني تخضع في كثير من الأحيان إلى الفئوية والطبقية إن صح التعبير، فنرى الأسرة العريقة التي مثيلتها في الجاه والمال والعلم مثل أسرة المرازقة[3]، التي كانت تربطها علاقة المصاهرة مع بيوتات تلمسانية عريقة كأسرة المقري[4]، وأسرة ابن النجار وأسرة ابن زاغوا وأسرة التنسي ،فقد تزوج أبو عبد الله محمد بن مرزوق[5].ت 681هـ_1282م جد الخطيب، بابنة الفقيه أبي عبد الله الكتاني كان هذا الأخير يعد من كبار مدينة تلمسان، مالا وجاها يتمتع بشهرة كبيرة ومقرب لأمراء بني عبد المؤمن في تلمسان، وتزوج محمد الثالث بن مرزوق خطيب مسجد العباد وإمامه،ت 733هـ_1333م. بست الملوك ،بنت يعقوب الهواري، وسبق لها الزواج بالسلطان أبي حموا موسى الأول[6]، تركت بعد وفاتها أموالا كثيرة وحليا وخدما ودواب وبقرا وفرشا وعقارا .

ويجهز الأب الميسور ابنته بالملابس والعطور والحلي وأشياء أخرى للزينة يصل ثمنها أحيانا إلى ألفي دينا ذهبا .

---

[1]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص ص13 14.

[2]- نفسه، ص13.

[3]-أسرة المزارقة :هو بيت من بيوتات الكبرى العريقة بتلمسان ترعرعت في ظل التطور الحضارية التي عاشتها تلمسان الزياني. ينظر: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115.

[4]-أسرة المقري: تنسب الى جدها الأكبر علي بن داود القرشي المقري، وقد كانت نهاية القرن 6ه_12م تعمر بتلمسان وتساهم في البناء الحضاري ثقافيا و اقصاديا . ينظر: المقري، المصدر السابق، ج5، ص 203.

[5]-أبو عبد الله محمد بن مروزق: هو محمد ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق بن الحاج التلمساني المكنى أبو عبد الله كان حافظا صاحا زاهدا وبارع في الفقة، صاحب الكرامات. ينظر: ابن مريم ، المصدر السابق، ص 130.

[6]- أبي حموا موسى الأول:هو الذي تمكن في ظروف وجيزة من استعادة مكانة المدينة الإقتصادية والثقافية والعلمية . ينظر : براهامي نصر الدين ، تلمسان الذاكرة، منشوراة ثالة، الجزائر، ط2، 2010، ص 181.

أما عن السن الزواج فيبدوا أنه كان في ذلك الوقت مبكرا بالنسبة للرجل والمرأة، وكانت بعض الأسر التلمسانية في العهد الزياني كما هو في الوقت الحاضر تقدم على إحدى البنات لأحد أبنائها أو الكلام عليها، وهي في سن الصبا نتيجة القرابة والصداقة الحميمة، أو لما تتمتع به الأسرة من علم وجاه، ودين وصلاح كما فعل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم التنسي ت 680هـ_1281م[1]. عندما أوصى بأن تزف ابنته خديجة[2]، لأبي العباس أحمد بن مرزوق والد الخطيب، وليست ابنة أخيه أبي الحسن كما ذكرت ماريا خيسوس وهي في السن الرابعة من عمره في ذلك الوقت وتم الزواج بعد وفاة والدها في عهد عمها أبي الحسن ت 707هـ_1303م.

وكان السلطان يوسف بن يعقوب المريني، قد أمر لها بمبلغ مالي قدره أربع مائة وثمانين دينارا ذهبا وأهدى لها فرسا وهو محاصر لمدينة تلمسان[3].

وكان أمراء بني زيان يتدخلون لإبطال الزواج، تزعم عليه إحدى بنات البيوت العريقة بتلمسان دون رضاها، كما فعل السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن مع الفقيه أبي زكريا بن محمد ابن عصفور قاضي مدينة تلمسان الذي اتفق مع أخي السيدة فاطمة أرملة الولي أبي عبد الله محمد بن مرزوق جد الخطيب على الزواج بها بالرغم من معارضة أمها "منية"إلا أنها قبلت تحت إلحاح أخيها، واشترطت أن تبقى في مترلها وكان ابن مرزوق قد أوصى السلطان بها خيرا قبل وفاته، وفي اليوم الثالث من زواجها سمع السلطان بذلك، أودعه السجن ثم أخرجه من المدينة، ونفاه إلى أن ماتت بعد ذلك إلا بقليل ولاسيما وأنه صرح إمامه بجملة توصي بأنه لا يرغب في أن تتزوج أرملته بقوله"كيف ترى يا فلان الذباب تدخل مراقد الأسود"[4].

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص291.
[2]-إبن مريم، المصدر السابق، ص 29.
[3]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 290.
[4]-نفسه،ج1، ص291.

وكانت بعض الأسر من فئات اجتماعية ميسورة، تختار لابنها أو ابنتها من العائلات المتدينة الصالحة ولو كانت فقيرة، وكانت ظاهرة تعدد الزوجات شائعة في المجتمع التلمساني كغيره وأن زواج المسنين بصغار السن من الفتيات موجودة في المجتمع التلمساني أيضا.

وكذلك الزواج الملون الأسود بالبيضاء[1]، تزوج العلامة فخر الدين بن محمد التكروري، من بنت أبي عبد الله الملكيشي الصغيرة الوسيمة الفائقة الجمال، وهو كبير السن أسود اللون.

كما كان سلاطين بني زيان وأمرائهم يتزوجون زواجا سياسيا مثل زواج أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بابنة أبي إسحاق الحفصي، ويتهادون بالجواري كتلك التي أهداها أبو سعيد الزياني إلى نظيره المريني [2]، وكانت الزوجة ترافق زوجها في هجرته أو ترحالها وكانت بعض الأسر ترفض ذلك، فتقع الخصومة بين الزوج وصهره، كما حدث مع الخطيب ابن مرزوق عند ما كان ينتقل من مكان إلى مكان عبر أرجاء المغرب والأندلس والمشرق.

والاتفاق على موعد الزفاف كان يقوم بعد انتهاء من إعداد الجهاز، فكان من المتعارف عليه أن يقوم الزوج بإرسال هدية من لحم إلى بيت والد العروس لكي يعدوا طعاما يأكل منه أقارب العروسين ليلة الزفاف وفي بعض الأحيان كان الزوج يرسل إلى عروسه قبل الزفاف بعض العصفر لصبغ ثيابها المهادات، وقد يبعث إليها ببعض المال تستعين به العروس وتتمثل في المشتريات، الحنة والأصباغ ولكراء الحلي الذي تتزين به العروس ليلة الزفاف[3].

وكان الأب أحيانا يشترط على زوج ابنته أن تكون هدية ابنته قبل الزفاف عبارة عن ثورين أو كبش وثور، هذه الهدية تعتبر ملكا للزوجة ولها الحق في أخذها وتسمى بهدية العرس[4]،

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ج1، ص292.

[2]- نفسه، ص291.

[3]- ينظر الملحق رقم 01، ص 134.

[4]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص ص 16 17.

وتجدر الإشارة إلى إن هناك من كان يلزم لزوجته خصوصا إذا كانت من الطبقة الخاصة الثرية بأن لا يتزوج عليها، ولا يتخذ أم ولد بغير إذنها أو بدون موافقتها[1].

أما الاحتفال بيوم الزفاف التي تتضح من إحدى النوازل والفتاوى أن حفل العرس كان يقسم إلى حفلين أحدهما احدهما يتم نهارا للرجال والأخر ليلا للنساء[2]، فيقام على شكل عرس أو وليمة في كل من بيتي العريس والعروس، تذبح الذبائح وتقدم افخر الأطعمة للمدعوين[3]، كل على حسب قدراته المادية.

فكانوا يستقدمون المغنيات وضاربات الدفوف والراقصات[4]، وفي النهار يجري سباق الخيل في ملعب المدينة على أنغام المزامير والدفوف وزغاريد النساء[5]، أثناء الليل تحضر الفرق الموسيقية لتقضي سهرة بهيجة على الأنغام، والأغاني الزناتية للجواري المعروفة ذلك الوقت[6]، وهو الأمر الذي ذكره العالم الفقيه أبو العباس أحمد الونشريسي بقوله:"ومنها متخذ للملاهي وأنواع الغناء المحرمات والآلات والمزامير، صناعة وحرفة يكتسبون بها ويستأجرون عليها عند السرور مثل: الزفافين والمغنيين[7].

وكانت حفلات الزفاف وإعداد المتاع في عصر بني زيان يبالغ فيها سكان مدينة تلمسان ويغلب عليها في بعض الأحيان حب الظهور، ويشتد غنائهم وتعلوا فيه أصواتهم ويدقون الدفوف ويرقصون وتزغرد النساء[8].

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 488.
[2]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 16.
[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص290.
[4]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 16
[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابقن ص 288.
[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص30.
[7]- الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص 276.
[8]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 291.

وكان التلمسانيون كغيرهم من المسلمين يغارون على الحرائر أكثر مما يغارون على الجواري والإماء، ويحجبون الحرة ويشددون في سترها بينما الجارية أو الأمة كانت في غالب الأحيان سافرة، ربما لأنها عرضة في كل وقت للبيع أو الشراء أو الإهداء[1]، وكانت بعض الفتيات يحافظن على زينتهن وجمالهن، لدرجة أنهن لا يصمن في شهر رمضان من غير عذر شرعي، حتى لا ينخفضن وزنهن ولا يتغيرن جمالهن، ولا سيما آلائي كن في سن الزواج[2].

2_الطلاق:

قد تحدث بعض المشكلات بين الزوجين بسبب تمسك الزوجة أو (والدها)بالبقاء في بلدة الأسرة وعدم الرحيل مع الزوج إلى بلد أخر[3]، وكانت تنشب بعض الخلافات بين الأصهار بسبب تظاهر الزوج قبل الزفاف أمام أهل عروسه بالتدين والصلاح ثم ما لبث أن يتغير سلوكه بعد الزفاف، فيميل إلى شرب الخمر ومخالطة أهل السوس ويجاهر معهم بارتكاب المحرمات مما يدفع الأب أو ولي الزوجة إلى التفريق بينهما خشية أن يفسد دينها وذلك لحين عرض النزاع على القاضي[4]، وفي بعض الحالات يعمد الزوج الخالع لزوجته إلى رجعتها ثم يحلف بالطلاق ويحنث به، ويستمر في معاشرتها[5].

كذلك اختلاف المذهب الديني كان عاملا في حدوث النزاعات بين الزوجين، فهناك مثلا سنية تزوجت من رجل خارجي جهلا منها ،فلما علمت بمذهبه طلبت فراقه فتتعهد بالرجوع عن

[1]-الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص188.

[2]- نفسه، ج2، ص ص 487 488.

[3]- نفسه، ج2، ص159.

[4]- نفسه ، ج2، ص373. ينظر: أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص22.

[5]- ابن سهل ابي الصبغ عيسى بن عبد الله الأسدي الجياني،(413_486ه)، الأحكام الكبرى أو الأعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تح: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة،1482ه_2007م، مج1، ص281.

مذهبه غير أنه لم يرجع، وهناك كان القضاة وأهل الفتوى يقولون:"إن لم يتب فرق بينهما، لأنه يخشى منه أن يفتنها ويفسد دينها[1].

وأيضا فقد تزوج رجلا من طالبة علم بامرأة وليلة البناء بها، وجدها جاهلة بوحدانية الله وشك هل له ولد وأن الرسول بشر فأفتى الشيخ لعقباني بوجوب فسخ هذا النكاح[2]. فقد سئل لعقباني عمن تزوج من امرأة وبعد مدة من الزواج قاربت الثمانية أعوام ظهر على الزوجة الجذام فسعى لتطليقها، وفي الجهة المقابلة سعت الزوجة إلى طلب الخلع إذا ظهرت أعراض هذا المرض على الزوج[3].

3_وضعية المرأة وإسهاماتها:

كان للمرأة الحضرية في المغرب الأوسط على العهد الزياني الدور الكبير في شتى مجالات الحياة، إلى جانب القيام بالمهام الأسرية، من تربية الأطفال والرعاية الزوجية، فقد كان لها أعمال أخرى مثل التجارة والتمريض[4]، كما تناولت المصادر مشاركة المرأة في النشاط الحرفي[5] بالمدينة وكان لها دور بارز في الصناعات النسيجية والصوفية والخياطة والطرز[6].

وقد تأثرت نساء المدينة بالأندلسيات المهاجرات إلى المغرب الأوسط القاطنات بالمدينة، وأخذت عنهن الطرز بالخيط الذهبي حيث يقول جورج مارسيه:" إن المجتمع البربري هو أكثر من أي مجتمع أخر فيه المرأة ممارسة للتقاليد والمعتقدات وكل الأعمال الفنية"، وقد حضيت المرأة

[1]-أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص ص24 25. ينظر: الونشريسي، المرجع السابق، ج3، ص276. ربوح زهور، المرجع السابق، ص27.

[2]-عبد الملك بكاي، المرجع السابق، ص 188.

[3]- نفسه، ص 188.

[4]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 292.

[5]-محمد ياسر، مصادر تاريخ المرأة المغربية خلال العصر الوسيط، المرأة في حضارة الغرب الإسلامي، الرباط، العدد399، 1432ه_2011م، ص118.

[6]-الونشريسي ، المصدر السابق ، ج9، ص106.

بالحقوق والواجبات التي نص عليها الشرع، إلى جانب هذه الأعمال التي كانت تقوم بها داخل المترل وخارجه[1].

فإن نساء البلاط كنَّ الخدم لخدمتهم وكان للنساء أيضا دور بارز في المجال السياسي ونظام الاستخبارات والحركة العلمية والثقافية[2].حيث أن أم يغمراسن بن زيان سوط النساء كانت على رأس الوفد الزياني الذي وقع معاهدة مع أبي زكريا الحفصي عندما هاجم تلمسان سنة 646هـ[3]، وأخرج منها السلطان يغمراسن الزياني وأكرم أبو زكريا الحفصي وفادتها [4].

وقبل نهاية الحصار اجتمعت نساء البلاط الزياني وجواريه وعبرن عن موقفهن الشجاع[5]، ومن خلال المعارك التي دارت بين المرينيين والزيانيين[6]، كانت النساء يشاركن فيها حيث يقفن وراء المحاربين[7]، وتشجيعهم على الصمود بتأثيرهم النفسي إلى جانب المشاركة في المعارك ورفع المعنويات، فكانت المرأة تجابه الشدائد والأهوال في الحروب وتخرج وراء الجند في هوادج فوق تنشد أرقى الألحان بكلمات مبرة ونبرات حادة، وهي تلبس أفخر الملابس، وكان ذلك في معركة "واد تلاغ" التي خاضها السلطان يغمراسن وجيشه ضد بني مرين، بقيادة السلطان يعقوب المريني، فظهرت في هذه المعركة مساء الفريقين خلف المقاتلين، وعندما هاجم أبو الحسن المريني مدينة تلمسان[8].

كانت النساء تخضن المعارك إلى جانب الرجال خلف الأسوار، وقد دنت إحداهن من مقام أبي الحسن المريني ورفعت صوتها تنادي بني زيان، كما كان لها دور في مراقبة التجارة وتفتيش

[1]-يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص212.

[2]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 192.

[3]-مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص198.

[4]-أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، تع: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص22.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 193.

[6]- علي ابن ابي الزرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، دط، 1972، ص 113.

[7]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 198.

[8]- الزركشي، المصدر السابق، ص، ص 22، 24.

النساء في أبواب المدينة [1]، إضافة إلى دور المرأة المهني والأسري والسياسي في المجتمع الزياني، فإنها لم تكن محجوبة داخل المنزل على الخصوص الطبقة الراقية، بل كانت تتجه إلى المنتزهات التي توجد داخل المدينة وخارجها، والحدائق والمقابر خاصة أيام المواسم الدينية، وزيارة قبور الأولياء والصالحين كالحلوي و سيدي بومدين[2].

كما كانت تخرج إلى السوق لاستحضار مطالب الأسرة، إلا أن خروجها يتم بموافقة أحد أفراد العائلة من الذكور، ولكن مؤلفي النوازل يذكرون أن المرأة كانت تتوافد على سوق الغزل وسوق العطارين، والصباغين وسويقة منشر الجلد [3].

وقد شجع الفقهاء تعليم المرأة بحكم أن طلب العلم للرجال والنساء، فكانت تدرس ويسمح لها بالتعلم وحفظ أهم الكتب، وقد برزت في ميدان الثقافة والتدين والزهد العديد من النساء ونذكر منهم: بنت الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز[4]، وبنو عبد العزيز بيت من بيوت تلمسان العريقة، أهل علم وعدالة وقضاء وثقة وأمانة، وإنها حفيدة أبي العباس ابن صاحب الصلاة، ونذكر أيضا أم الفتح وهي أم خال الخطيب بن مرزوق (ت 724هـ/1324م)، وهي من ربت الخطيب ابن مرزوق وزوجة أبي عبد الله محمد الثاني بن مرزوق وكانت صالحة ملازمة للصلاة، وعلى الرغم من أنها كانت تنتمي إلى بيت غني غير أنها كانت مباعدة لأهلها تحب التقشف والزهد.

ومن المتصوفات المؤمنة التلمسانية[5]، التي انتقلت إلى فاس لطلب العلم وكانت تجالس كبار الفقهاء، والمناقشة في المسائل الفقهية والشرعية والأخلاق، مثل أبي العباس أحمد الفقيه المعروف بابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1407/)، وكانت نساء المغرب الأوسط على درجة كبيرة من الزهد والتقشف والعبادة والورع، وكانت تستمد قوتها من غزل ونسج يديها، وغيرهن من

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ص 193 194.

[2]-يحي بن خلدون، المرجع السابق، ج1، ص 127.

[3]-مختارحساني ، المرجع السابق، ج3، ص ص 198 199.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق ، ص 258.

[5]-ورأيت منهم بفاس المرأة الصالحة المؤمنة التلمسانية تخصني بالدعاء في ظهر الغيب، ينظر :ابن قنفذ ، المصدر السابق، ص ص 80 81.

المثقفات والزاهدات التي عرفهن المغرب الأوسط على العهد الزياني، وأبرزهن النساء التلمسانيات[1] نذكر منهن الفقيهة أم البنين والسيدة زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي، وأم الفتح المدعوة بفتحون[2].

ومنه فإن المرأة الحضرية في المغرب الأوسط على العهد الزياني استطاعت أن تبرز في مجالات مختلفة في جميع الطبقات ومكنتها من إبراز دورها، وهكذا فقد كان حضور المرأة واضحا في العلوم الدينية أما بالنسبة للعلوم اللغوية لم تشهد هذه الفترة اهتماما كبيرا للمرأة في الأدب والشعر، وزيادة على المكانة التي كانت تتمتع بها المرأة من حرية وحضور اجتماعي وثقافي، فقد أتيحت لها فرصة التردد على مجالس العلماء والأدباء[3] ومنهم نذكر عائشة البجائية[4].

نستنتج أن المغرب الأوسط لم يخلو من إسهامات المرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى الفكرية خلال القرن 7_10هـ/13_16م، كما حضيت بعض العالمات في طلب العلم والمعرفة، وبرزت الشهيرات[5] منهن في مختلف المجالات وبالتالي لم يقتصر على مهامها داخل البيت فقط بل وخارجة في إبراز قدراتها العلمية ومساهمتها في الحياة الثقافية والاجتماعية عامة[6].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ص 194 195.

[2]-أم الفتح: هي أم خال الخطيب ابن مرزوق ، كانت صالحة وحجت برفقة الخطيب ابن مرزوق وهو صغير لا يتعدى اثني عشر سنة وفي آخر زيارتها للحج توجهت الى بيت المقدس وتوفيت به سنة 724هـ/1324م. ينظر: نبيلة عبد الشكور، اثر المرأة في الثقافة في بلاد المغرب الأوسط 6 _9هـ /12_15م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي ،كلية العلوم انسانية والاجتماعية ، الجزائر،2008م، ص 83.

[3]-نبيلة عبد الشكور ، المرجع السابق، ص 88.

[4]- عائشة البجائية: بنت الفقيه أبي الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الشهيرة بالشريفة أو البجائية .ينظر ،نبيلة عبد الشكور،نفسه، ص88.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 125.

[6]- نبيلة عبد الشكو، المرجع السابق ،89.

المبحث الرابع: العادات والتقاليد بالمدن على العهد الزياني.

1_الأعياد:

_عيد الفطر:

يحتفل به المسلم بعد شهر رمضان صوما وعباد، فقد ظل الاحتفال بعيد الفطر في مدينة تلمسان في عهد بني زيان امتداد لما سبق[1]، وجرت العادة على أن هذا العيد الذي يقع في فاتح شوال بعد انقضاء شهر الصيام[2]، ففي ليلة العيد بعد ثبوت رؤية الهلال ثبوتا شرعيا يخرج الناس زكاة فطرهم[3]، ويجوز دفعها قبيل صلاة العيد[4]، ففي اليوم الأول من العيد ضحى لأداء صلاة العيد بالمساجد[5]. وكانت الصلاة تقام في الملعب الذي يقع خارج أسوار المدينة، أمام باب القرمادين[6]. ثم بعد ذلك يقع التغافر بأن يقول الرجل للأخر "عيد مبروك"، ثم يقع التزاور بين الأقارب فإذا زار أحد دار من دور أقربائه قدمت له الحلويات مثل الكعك وكل الأطعمة المصنوعة على أن تلك الحلويات تكون قد صنعت في الأيام العشرة الأخيرة من رمضان[7].

فخلال هذا الموسم يلبس الأطفال لباسا جديدا ويلعبون ويفرحون، وخلال صبيحة اليوم الأول والثاني يقوم الكبار بزيارة المقابر، وأضرحة الأولياء الصالحين مثل أبا مدين شعيب بالعباد وغيره من الأولياء المدفونين بالقرب من أبواب المدينة[8]، وفي اليوم الثالث فيتوجه بعض أصحاب

[1]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 270.

[2]-محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص 377.ينظر: العقباني، المصدر السابق، ص ص41 42.

[3]-محمد ابن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 377

[4]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص ص271،270.

[5]-محمد ابن رمضان شاوش ، المرجع السابق، ص ص378،377.

[6]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص 271. أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 43.

[7]- محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق، ص 377.

[8]-ابن مرزوق ،المصدر السابق ، ص ص 165،164.

الطرق وبالخصوص الطريقة العيساوية. لزيارة الضرائح الشرفاء من أل بني منصور المدفونين بقربة "عين الحوت " وهكذا تنتهي مراسم عيد الفطر ثم يعود الناس إلى أشغالهم في الأيام الموالية[1].

_ عيد الأضحى:

يحتفل أهل تلمسان مثل غيرهم من المسلمين بعيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة من كل سنة ولا تختلف مظاهره عن عيد الفطر إلا فيما يتعلق بالأضحية[2] وهو شهر الحج إلى بيت الله الحرام واليوم الذي قبله أي التاسع "عرفة""كثير من الناس يصومون هذا اليوم وتخرج فيه بنات المساكين لسؤال الصدقة على أبواب الدور، وهن ينشدن هذه الأبيات[3].

عرفة عرفة مباركة ميمون حمو حمو

قيم خيتك وإلا إمرأتك

تعطيني شيئا وإلا نـــمـــــــــشي .

فكان الناس يتزينون باللباس الجديد في الصباح ثم يتوجهون إلى المسجد لأداء صلاة العيد في جو يسود الخشوع والتكبير والتهليل، والفرحة تكسوا أوجه الصغار والكبار[4].

وبعد الفراغ من الصلاة والخطبتين يذبح الإمام أضحيته بيده خارج الجامع الكبير ويراها المصلون ثم يذهبون إلى ديارهم لذبح أضحياتهم ، ثم بعد ذلك يقع التغافر والتزاور، وقد وصف لنا الرحالة المصري عبد الباسط الذي حضر الاحتفال بعيد الأضحى في مدينة تلمسان يوم الحادي، عشر من ذي الحجة سنة 808هـ/1463م. وقد وصفه وصفا دقيقا وهي مظاهر لم يتعود عليها في بلاده بقوله:"...كان عيد النحر بتلمسان فخرجنا للمصلى بظاهرها.

[1]- محمد ابن رمضان شاوش المرجع السابق ، ص 377.

[2]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 272. ينظر: البرزلي، المصدر السابق، ج1، ص 605.

[3]- محمد ابن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 379.

[4]-إبن مرزوق، المصدر السابق، ص 136. ينظر:عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ، ص273.

اليوم بعد أن خرج في موكب حافل حين تعالى النهار جدا، ثم صلى ونحر أضحيته كبشا أصلحا في المصلى بعد فراغه من الصلاة وشهد هذا الكبش محمولا على بغل مع رجل يعد لذلك، فشق به المدينة لأجل أن يتيقن بتضحية الإمام على قاعدة مذهب مالك (رضي الله عنه) وكان هذا الرجل لما سار بهذه الذبيحة الأضحية، مجدا ببغله فيها محثا في ذلك، ولم أكن أعرف ذلك قبل التاريخ فسألت فأجابوني بأنه من عادة ملوك هذه البلاد ثم عاد السلطان إلى المدينة في موكبه الحافل[1].

2_المولد النبوي الشريف:

إن الاحتفال بالمولد النبوي من أعظم مناسبات تلمسان، وأهم احتفال رسمي وشعبي. وقد اكتسى الاحتفال بالمولد بالمدينة في عهد أبو حموا موسى الثاني حلة جميلة منذ توليته للعرش الزياني سنة 760هـ/1359م[2].يتميز الاحتفال في عهده بإيقاد الشموع الملونة وتوزيع ماء الزهر وماء الورد، كما كان توزع فيه الهدايا المتنوعة، وكان يحتفل لمولد المصطفى عليه الصلاة والسلام، احتفال أسلافه الكرام ويرتفع إلى حضرته العليا من الأمداح[3]. وتفرش أنواع الزرابي والنمارق المصفوفة والأطعمة المعدة والقصائد المنظومة وشمع كالأسطوانات[4].

لقد كان الإحتفال يدوم طول ليل،وكان يقام في القاعة الكبرى في المشور[5].فتضاء ثرياته الضخمة ويجلس السلطان وقرابته وحاشيته في أجمل ملابسهم فيستمعون للمدائح النبوية، وتلاوة القرآن، ثم يصلون العشاء ويقدمون الطعام ثم يجلسون للشعراء والمغنيون، ويستمر ذلك حتى تقام صلاة الفجر ثم ينصرف الناس[6]، وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم ولدان، قد ألبسوا

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 204.
[2]-نفسه، ص 281.
[3]- التنسي، المصدر السابق ، ص 212.
[4]-يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2 ،ص 123. ينظر:التنسي، المصدر السابق، ص 162.
[5]-المشور:هو المركز الحكم الزياني. ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص204.
[6]- ابن الأحمر ، المرجع السابق ، ص 49،50.

أقبية الخز الملون وبأيدهم مباخر ومرشات ينال منها كل بحضه[1]. فقد خص السلطان أبو حمو موسى الثاني بعناية فائقة للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وجعله من الأعياد الرسمية للدولة[2].وفي ذلك يقول التنسي :"وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل السوقة[3].

وكان لها بما هو فوق سائر المراسم يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسلطان يدعوا كافة الناس خاصتهم وعامتهم بحضور هذا الاحتفال، ولمثل هذا اليوم مظاهر تميزه اعتادوا الناس عن الخروج والزغردة فوق الأسطح ساعة من الزمن، أما الرجال فإنهم يجتمعون بعد صلاة العصر أو المغرب بالمساجد الجامعة حول جماعة من الطلبة الذين ينشدون منظومة الشيخ العروسي في مدح النبي عليه الصلاة والسلام وعادة ما تدوم أربعة وعشرون يوما لأن المنظومة مقسمة من أربعة وعشرون جلسة وتدوم القراءة المصحوبة بالتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم[4].

وبعد تقديم الأطعمة، يأتي دور الإنشاد، وويبتهل ذلك بقصيدة من نظم السلطان أبو حمو موسى الثاني في مدح مولد المصطفى[5].ومع جو خاص من تلك المنجانة من صنع أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام آلة المنجانة[6].فقد وصفها يحي ابن خلدون وصفا دقيقا:"ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه، ويخاتله فيهما أرقم خارج من كوة بحذر، الأيكة صعدا ويصدرها أبواب موجفة بعدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان موجفان..."[7].

---

[1]-التنسي ، المصدر السابق ، ص 162.

[2]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص282.

[3]-التنسي، المصدر السابق ، ص 162.

[4]-محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 374.

[5]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 282.

[6]_ المنجانة:أو المنكانة أو المنقانة ومعناها الساعة، و اللفظة حسب المستشرق دوزي ، منشقة من مكان وهي فارسية معناها آلة كان القدماء يقيسون بها الزمن ولا يوال أهل تلمسان يسمون ساعة الحائط الكبيرة.ينظر:عبد العزيز فيلالي، نفسه ،ص306.

[7]_التنسي ، المصدر السابق، ص162.ينظر عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 253 . ينظر: مجهول، زهرة البستان في دولة بني زيان 760ه 467/ 1359م1363. تق: محمد بن أحمد بن علي، أصالة للنشر التوزيع،ط1، الجزائر، 2011.

فبهذه الطريقة كان السلطان أبو حمو موسى الثاني، يحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف وصارت عادة مستحبة لدى سلاطين بني زيان الذين جاءوا من بعده ولدى المجتمع التلمساني الذي صار يبالغ في الاحتفال به، وقد أوصى أبو حمو موسى الثاني ابنه أبي تاشفين بإتباع أثاره في هذه المناسبة بقوله:"يا بني عليك بإقامة شعائر الله عز وجل وابتهل إليه في مواسم الخير وتوسل واتبع أثارها في القيام بليلة مولد النبي عليه السلام، واستعد لها بما تستطيع من الإنفاق العام، واجعله سنة مؤكدة في كل عام تواسي في تلك الليلة الفقراء وتعطي الشعراء، وإن ركبت فيك الغريزة الشعرية، وتجلبت بالحلية الأدبية زادت جمالا إلى جمالك، كمالا إلى كمالك فانظم المولديات[1].

ففي أيام تاشفين فكانت تأتي بأحسن العوائد فتلقى في حضرته قصيدة مدحه فيها ومدح نجله الكريم ولي عهده المولى أبا ثابت،جد مولانا المتوكل نصره الله وأبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري[2]. فعمل أبو تاشفين بنصائح والده، ونسج منه العادة على نسيج أبيه أو زاد عليه احتفال أخر بليلة السابع للمولود في ذلك يقول التنسي:"...ولما كانت ليلة السابع المولود المذكور احتفل لها أعلى الله مقامه بمثل احتفاله لليلة المولد أو أعظم، وضل سلاطين بنو زيان يرعون هذا الاحتفال، ومن مظاهر الاحتفال النبوي عند أهل تلمسان إيقاد الشمع ليلة المولد النبوي وسابعه، تصدى لتغيير ذلك وأعتبرها بدعة على رأسهم أبو عبد الله سيدي محمد ابن مرزوق حيث استطاع انقطاع هذه العادة في مدينة تلمسان طول حياته ثم عادت بعد موته بل زادت على ما كانت عليه[3].

من الطبيعي أن تنعكس هذه الاحتفالات على الشعر والأدب في مدينة تلمسان لما تحمله من أهمية، فاستجاب لها الشعراء وحرصوا على تدوينها في أشعارهم ومدائحهم والتباري بها في ليلة

[1]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 289.

[2]-التنسي، المصدر السابق، ص 196.

[3]-الونشريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص،471 472.

المولد سابعه أمام مجالس السلاطين، حتى للبلاط الزياني خصوصية مميزة في الاعتناء بهذه المناسبة والاحتفال بها[1].

كما كانت في تلك المناسبة الصدقات على الفقراء والمساكين واليتامى وإعداد أطعمة لهم، ولا يحبذون صيام هذا اليوم لأنه في نضرهم لا يستقيم فيه الصيام لأنه يوم عيد،ويضيف الونشريسي أن الرجال والنساء اعتادوا على الاجتماع في تلك المناسبة[2]. هكذا يتضح أن ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بمدينة تلمسان وفي غيرها من المدن وحواضر بلاد المغرب لقيت منذ نشأتها رواجا كبيرا لدى المسلمين في المغرب الأوسط[3].

_**احتفالات أخرى**: يذكر الونشريسي أن أهل المغرب اهتموا أيضا باحتفال بميلاد أطفالهم، فكانوا يعدون العقيقة، وهي وليمة تتكون من أحد الخراف ونوع من الحلوى اشتهر بها المغاربة وسمى العصيدة[4]، ويصنعهم من ذلك الفقراء والأقارب وأسرة المولود، يقص أول خصلة من شعر الطفل في اليوم السابع لولادته[5]، وخصوصا إذا كان المولود ذكرا، ويدعى إليها النساء خاصة وهؤلاء قد يقدمن هدايا للمولود ويدعون لهذا المولود، بالصحة والعافية وطول العمر وقد يتناولون المدعوون الطعام المعروف بتقنتة[6].

_**الختان**: إذا بلغ الطفل الخمس سنوات من العمر أو ما يقرب منها لزم ختانه فيؤتى بالحجام[7]، فيقيمون بهذه المناسبة مأدبة، يدعى إليها الأقارب والأهل كما وجد لديهم ما يسمى بالضيع[8]، ويباشر العملية بحضور المدعوين الذين يتبرعون على الطفل بالنقود كي يصبروه على ما يقاسي من

---

[1]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج 1، ص 285.

[2]-كمال مصطفى، المرجع السابق ، ص44.

[3]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1 ، ص 285.

[4]- العصيدة: نوع من الحلوى وكانت تصنع من العسل و سميد القمح ، ينظر:كمال مصطفى، المرجع السابق، ص 45.

[5]-أبو مصطفىى كمال، المرجع السابق، ص 45.

[6]-محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 381.

[7]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 381.الحجامة:من يباشر الحجامة وهب أن المريض المصاب بضغط الدم يأخذ منه نصيب من الدم، نفسه، ص 381.

[8]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 45.

الألم ثم يتناولون الغذاء المعد لهم بتلك المناسبة، وينصرفون ثم تقام حفلة أخرى للنساء بعد الطهور[1].

3_اللباس والأكل:

أ_اللباس:

تختلف الملابس حسب الطبقات الاجتماعية في المغرب الأوسط على العهد الزياني ،فيرى ابن خلدون إن الطبقة الغنية كانت ترتدي الملابس الفاخرة[2]، من حرير وديباج والصوف الرفيع، وتخضع في لونها وخفتها وخشونتها إلى فصول السنة[3]، وتطورت هذه الملابس بتطور الدولة لأن أغلب ما تركه ابن خلدون هو عبارة عن تجارب مستوحاة من البيئة المغربية التي عاش فيها[4]،وقد كان فقهاء الدولة الزيانية يحرمون على الرجال لبس الحرير، لكن طبقة الحكام لم يلتزموا بذلك.

وقد كان السلاطين يستحسنون الملابس التلمسانية وما يصنع بها من أقمشة، ولاسيما منها أقمشة الصوف الرفيع، والدليل على ذلك أن أحد سلاطين تونس أراد أن يتباهى بدقة صناعة الأحرام وخفتها، فأرسل إلى أمين الحياكة بتلمسان وصاحب صناعة الصوف أبي يزيد النجار بعض الأحارم التونسية، تزن الواحدة منها خمسة أواقي، فرد علية أبو يزيد أحارم تلمسانية من صنع ورشاته[5].

وهناك ذكر لملابس كان قد أهداها السلطان أبو الحسن المريني للمماليك وكان مصدرها أراضي الدولة الزيانية، منها الصكات المذهبة، براق الخيل والحنابلة البرانس[6]، ومما يوضح أن تلك الملابس لذلك المجتمع الزياني قول حسن الوزان الذي زار تلمسان في أواخر القرن التاسع الهجري

[1]-محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق ، ص 381.
[2]-حسن الوزان ، المصدر السابق، ج 2، ص13.
[3]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص267.
[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص116.
[5]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق،ص267.
[6]-مختار حساني، المرجع السابق ،ص، ص111، 116.

الخامس عشر ميلادي، فيقول أن ملابس سلاطين الدولة الزيانية كانت أنيقة وجميلة أمثال أبو حمو موسى الزياني[1]، ويقول أيضا :" ويرتدي التجار الحصريون لباسا جميلا يكون أحيانا أحسن من لباس أهل فاس لأنهم حقا أكثر أناقة وسخاء.

وكذلك الصناع إلا أنهم يرتدون لباسا قصيرا والقليل منهم يتعمم، ويكتفون بوضع قلنسوة من دون ثنايا على رأسهم، وينتعلون نعالا تعلو حتى نصف الساق، وأسوء لباس هو الذي يتخذه الجنود إذ يضعون على ظهرهم قميصا واسعا عريض الكمين يغطونه بكساء كبير جدا من قماش القطن يلتفون فيه شتاءا وصيفا، حتى أنهم يرتدون في الشتاء سترة من الجلد المصنوع على نمط ذلك القميص من الكتان..."[2].

أما الفقهاء فكان لباسهم جبة من الصوف أو القطن، كما كانوا يلبسون البرنوس الأبيض، فقد أورد القلقشندي قوله :" وأما العلماء وأهل الصلاح فانه لاحرج غليهم في لبس البرنوس الملون بالأبيض " والى ذلك أشار ابن مريم أثناء حديثه عن سيدي أحمد المشدالي حيث قال :" لجا إلى سوق ندرومة ودل قلمون برنوسه لكي لا يعرفه الناس"[3]، كان أبو عبد الله محمد بن مرزوق جد الخطيب يتجمل في لباسه يتقشف في أكله، أما أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق والد الخطيب فكان لباسه لا يختلف عن لباس والده، ويفضل الجربي والمثنى والرفيع من الصوف التلمساني[4].

ويلبس أهل تلمسان الحذاء الذي يعرف بالنعل والقبقاب، والشاشية الأندلسية [5]، أما أهل الذمة فقد كان مفروضا عليهم ارتداء ملابس خاصة وهي تختلف عن ملابس المسلمين ولونها أصفر وعلى رأسهم الضفائر إلا أنهم لم يتقيدوا بتلك الملابس وبخاصة في مرحلة ضعف الدولة الزيانية[6].

---

[1]-مختار حساني، المرجع السابق ، ص 117.

[2]-حسن الوزان ، المرجع نفسه، ص 21.

[3]-مختار حساني، المرجع السابق،ص 118.

[4]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 268.

[5]- نفسه،ص 268.

[6]-مختار حساني، المرجع السابق، ص 123

ويرتدي الصوفية[1] الخرقة، يقول الغبريني في ترجمة لأبي الفضل قاسم بن محمد القرشي انه قال دخلت سوق الصوف فرأيت خرقة أعجبتني فاشتريتها بثلاثين درهما، ويلبس النساء سراويل وقمصان من قماش القطن وإزار من حرير للنساء الميسورات الحال، ومن الكتان والصوف لأقلهن غناء له أكمام تختلف حسب مكانة المرأة الاجتماعية والمادية ومن لباسها السفساري الزياني، وتشد المرأة وسطها بحزام غالبا ما يكون مصنوعا من الصوف و يغطي رأسها بالملائم والحرائم [2]، أما المازوني فيعطينا صورة للحائك تشبه إلى حد بعيد ما تلبسه المرأة في الغرب ويقول إن زي النساء الالتحاف بالكساء دون نقاب من كتان ولا غيره وإنما يسترن وجوههن من نفس الكساء بأيديهن[3]، وفي هذا الصدد يقول البكري : "... يلتزمون النقاب"[4]، وترتدي أيضا ضروبا من الألوان والأنواع سواء من صناعة اليد التلمسانية[5] ومن الثياب المستوردة من العالم الإسلامي مغربا ومشرقا وأندلسيا، فانه يلاحظ وجود ملابس أندلسية في المجتمع الزياني لقرب موانئ الأندلس التي تشتهر بصناعة المنسوجات مثل المرية حسب ما أورده الإدريسي، أن السلع كانت تصل باستمرار إلى هنين وغيرها من الموانئ الزيانية [6].

ب_ الأكل:

أما المأكولات فقد تطورت بتطور الدولة ففي البداية كانت معيشتهم تتميز بالبساطة ثم تطورت في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني فأصبحت متنوعة وتقدم في أواني فضية وذهبية[7]، وخاصة طعام الأمراء فكانت هذه الطبقة تتأنق في الأكل والشرب، ومنها السفنج وهو الفطير

[1]-التادلي، المصدر السابق ، ص ص 34 38.
[2]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق،ص 269.
[3]-مختار حساني ،المرجع السابق ، ص122.
[4]-البكري ،المصدر السابق ،ص 357. ينظر الملحق رقم: 02 ص135.
[5]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ،ص 269.
[6]-مختار حساني ،المرجع السابق ،ص ص، 115-116.
[7]-نفسه ، ص 113.

المقلي في الزيت والبسيسة[1]، حيث يقول ابن خلدون:"وجيئ أخر الليل بالحرس الشهي الملاء الحافل الملامح والمشام المتعددة الخوانات، مما أرحبت ساحته وجيرت بروده ونادى بالعصبية أولى القوة محملة بالفواكه والحلوى، وطعم الناس بيد الخليفة "[2]، وقد عرفت الطبقة الغنية أكل الشواء والحمام المقلي والطواحين والرفيس والكرش والدوارة والمركوس، وهو غذاء لذيذ يصنع من لحم الفخذ أو سن الضأن ويخلط بالزيت الفلفل والقرفة والشحم، وأكل الترفاس والحمص وغيرها.

وعرف أهل تلمسان شرب الحليب واللبن والرايب ومشتقاته من زبدة وجبن[3]،وهناك أنواع أخرى مثل السيار وهو الفول المطبوخ في اللبن والسمن وأوراق السلق المطبوخة بالحمص والجزر والفول، ومن ذلك الدويدة أو الشعيرية التي تطبخ بالحم الدجاج وتستعمل في الاحتفالات وأيام شهر رمضان ونجد الحساء وهذا النوع من الأكل لا يزال لحد الآن ويعتبر من بين الأكلات الشعبية على الخصوص لأراضي بني زيان[4].

وقد أشار إليها ابن مرزوق أثناء تعرضه لأبي الحسن المريني فقال:" إلى أن أقيمت صلاة المغرب فخرج من الصلاة رغبنا منه الدخول والفطرة فدخل ثم خرج بعد برهة فتعرفنا أنه أجزأ بيسير من حسو"[5].أما حسن الوزان فيشير إلى أطعمة قدمت إلى السلطان الزياني خلال الحصار المريني للمدينة سنة 668_707هـ/1298_1307م[6]، أما الحلويات فنذكر منها حلوة الترك[7]، والزلابية السفنج والقطايف والقرص المصنوع من السميد والقباط المحشو باللوز[8].

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 113. ينظر: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق،ص 375.

[2]- نفسه، ص113.ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص،ص 40،49. التنسي، المصدر السابق ، ص 236.

[3]- عبد العزيز فلالي، المرجع السابق ، ص ص265 266.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 114.

[5]-ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 232.

[6]- مختار حساني، المرجع السابق ، ص114.

[7]- محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص،ص 361،377. ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ص 114.

[8]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 265.

المبحث الخامس: الأوضاع الصحية بالمدن على العهد الزياني:

1- الأمراض:

يعتبر الوضع الصحي من المؤشرات الهامة لمعرفة المستوى المعيشي لسكان في أي بقعة من الأرض سواء كانت مدينة أو ريف برغم أننا لا نملك معلومات كثيرة عن الوضع الصحي في القرنين 7هـ/10هـ لشح المادة العلمية في هذا الموضوع إلا أننا حولنا استخلاص بعض الشذارات من المصادر.

لا تختلف أسباب حدوث المجاعات والأوبئة والأمراض بالنسبة لريف أو المدينة فهي عمومية، لقد تحدثت المصادر عن أهم الأمراض التي عرفها المجتمع الزياني،كمرض الذبحة[1]، والدماميل والأورام[2]، والشكية، والكند[3]، ومرض القرع[4]، الذي كان منتشرا بصفة خاصة عند الأطفال والنساء لدرجة أنه صار من الصعب في بعض الأوقات معالجته والاستشفاء منه بعد مشقة عظيمة وعلاج مستمر ومكثف لفترة طويلة من الزمن[5]، وأعتبر ابن خلدون أن المدن أكثر عرضة للأمراض نتيجة تلوث الهواء وركوده بسبب كثرة العمران والسكان وكثرة الصنائع، وخصوصا في تلك المدن المحاذية للمياه الفاسدة والمستنقعات التي تكثر فيها الحشرات الناقلة للأمراض وكذلك بسبب كثرة النفايات وانعدام شروط النظافة[6].

وقد انتشر في القرن 9هـ/ 15م يدعى داء الإفرنج (الزهري) بأوجاعه وبثوره وقروحه منتشر كثيرا في بلاد البربر لا يكاد يسلم منه إلا القليل وهذا الداء لا يكاد يعرف في البوادي[7]،

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص244.

[2]-الورم :هو الغلظ الخارجي عن الطبع عادة تتخلل العضو، متفرق فيه اجتمعت في تجويف واحد فهو الخراج. ينظر: عبد العزيز فيلالي،نفسه، ج1، ص258.

[3]-نفسه، ج1، ص244.

[4]-القرع: قروح الأس متصلة، يذهب معها الشعر وتسمى السعفة. ينظر: عبد العزيز فيلالي، نفسه، ص255.

[5]-حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص83.

[6]-مزدور سمية، المرجع السابق، ص 123.

[7]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص83.

وانتقل لأول مرة إلى بلاد المغرب مع اليهود الذين هاجروا من الأندلس مضطرين إلى المدن المغربية بعد سقوط غرناطة في نهاية القرن 9هـ، وقد انتشر هذا المرض في مدينة تلمسان عن طريق الاتصال الجنسي بين اليهوديات والتلمسانين وغيرهم من سكان مدن المغرب[1]، وأيضا مرض الفتق[2]، وداء الشاخة[3].

وداء النقرص يصاب به إلا القليل ومع ذلك يرى بعض الرؤساء المصابين به ممن اعتادوا على شرب الخمر وأكل الدجاج وغيره من الأطعمة الناعمة الشهية والإكثار من أكل الزيتون والجوز وغيرها من الأطعمة الخشنة التي لا تصلح لشئ يورث الجرب الذي يصعب التخلص منه، ويعرف بداء الملوك[4]، إضافة إلى مرض الجذام على رأس قائمة الأوبئة المنتشرة فهو مرض معدي برائحته ولم يشمل هذا المرض عامة الناس فقط وانما شرائح مهمة من المجتمع ومن العلماء والصلحاء[5].

2_الأوبئة:

يعد وباء الطاعون[6]، من أشد الجوائح الطبيعية وأكثرها خلال العهد الزياني، ويظهر الوباء في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات وخمس وعشرين وعندما يأتي يذهب بالعديد من الناس لأنه لا يهتم به أحد لا يستعمل أي دواء باستثناء التمسح بالتراب[7]، وقد عرفت تلمسان هذا الوباء الجارف عدة مرات خلال العهد الزياني .

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص244.

[2]-الفتق: هو انخرام يقع في شئ ملتحم متصل وهو من أمراض انفتاق صفاف البطن ،وبروز المعي أو الثرب تحت عضل البطن وجلده وأصله في اللغة الخرق.ينظر: عبد العزيز فيلالي، نفسه، ج1، ص258.

[3]-ابن مرزوق، المصدر السابق، ص265.

[4]-حسن الوزان، المصدر السابق ، ج1، ص83.

[5]- مزدور سمية، المرجع السابق،ص139.

[6]- الطاعون:يصاب صاحبه بالورم الحاد الخبيث ويقبل في ساعة او ساعتين وربما طال يوما أو يومين يكون خلف الأذن .ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص260.

[7]-حسن الوزان، المصدر السابق،ج1، ص83 .

تفشى هذا الوباء في بلاد المغرب مخلف الكثير من الضحايا وقد عاصره ابن خلدون فوصفه وصفا دقيقا بقوله:"نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران، ومحاها جاء للدول على حين هرمها، وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ضلالها، وقل من حدها وأوهن من سلطانها، وتوادعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها وانتفض عمران الأرض وانتفاض البشر، فخربت الأمصار والمصانع. ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني المشرق قد نزل به، مثل ما نزل بالمغرب ولكن على نسبته ومقدار عمرانه وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول، والانقباض فبادر بالإجابة والله وارث الأرض ومن عليها، وإذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما يتبدل الحق من أصله تحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد"[1]، يرى ابن خلدون أن أهل الأمصار والحضر أكثر عرضة للأمراض الوبائية من أهل البوادي لخصب عيشهم وكثرة التنوع في أغذيتهم وتناولهم الفواكه الرطبة،وأهل الأمصار قليلو الرياضة[2].

_الطاعون الأسود:749-751هـ/1349/1350م.

تفشى في عهد السلطان الزياني أبو سعيد عثمان الثاني أعتبر هذا المرض من أشد الطواعين فتكا إذ لم يسلم منه أي كائن حي فقضى على أكثر من الناس في المغرب الأوسط، وكانت عاصمة الدولة الزيانية أشد تضررا منه، حيث فتك بعائلات بأكملها مثل ما حدث لأسرة حفيد العالم التفريسي التلمساني التي انقرضت كلها من جراء هذا الوباء القاتل، وقد عاصره أيضا أبو عبد الله الخطيب بن مرزوق فقال عنه:"كان للحاج يوسف بن يحي حفيد العالم التفريسي أولاد انقرضوا في هذا الوباء[3].

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص53.

[2]- نفسه، ص386.

[3]-خالد بلعربي، المرجع السابق، ،ص22.

وإذا كانت المصادر لا تحدد نوع هذا الطاعون الذي تفشى في بلاد المغرب الأوسط، فانه بإمكاننا الاعتماد على الأوصاف التي قدمتها بعض المصادر الأندلسية المشرقية،باعتباره كان وباء عالميا، يصف ابن خاتمة أعراضه بما يلي"أنه حمى خبيثة دائمة من سوء مزاج قلبي مهلكة في الغالب يتبعها كرب وعرق غير عام لا يعقب راحة ترتفع عقبه حرارة، وقد يتبعها تشنج وبرد في الأطراف، وقيء مراري سمج وعطش.

إن الطاعون الأسود الذي ضرب منطقة المغرب الأوسط عامة ومدينة تلمسان على وجه الخصوص، فمن غير المستبعد تسرب هذا الوباء إلى بلاد المغرب الأوسط الذي كانت تربطه ببعض مدنه علاقات تجارية خاصة فاس[1].

3- مجاعة 698هـ-707هـ/1299 1307م:

كان سبب حدوث هذه المجاعة أحداث سياسية صعبة عاشتها تلمسان نتيجة الحصار المريني في الفترة الممتدة 698ه/707ه، لقد نبأتنا المصادر التي تناولت الحديث عن هذه المجاعة وعن فداحتها وعن حجم الخسائر البشرية في تلمسان فضلا عن تضرر المناطق المجاورة من القرى والبوادي من هذا الحصار سواء على المستوى الاقتصادي أو العمراني[2].

في القرن 7هـ عرفت تلمسان مجاعة شديدة بسبب الحصار الطويل الذي فرضه السلطان يعقوب المريني عليها استغرق ثماني سنوات وثلاثة أشهر كان لهذا الحصار وقع شديد على سكان مدينة تلمسان بحيث أحاط العسكر من جميع جهاتها وفقدت فيه الدولة الزيانية معظم مدنها بالمغرب الأوسط ونتيجة ذلك نال سكان تلمسان الجوع مالم ينل الأمم فاضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران حتى زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس على حد تعبير ابن خلدون.

[1]-خالد العربي، المرجع السابق، ص23.

[2]-ابن الأحمر، المرجع السابق، ص 67.

أما ابن الأحمر فأضطر إلى تعبير عما عاناه سكان تلمسان من جراء هذه المجاعة حتى أكل بعضهم بعضا ومن شدة الجوع فيطبخونه ويأكلونه[1]، الهالك بالقتل، لانعدام الأقوات باستنفاذ المخازن فلم يطق السكان تحمل هذه المجاعة[2].

[1]- ابن الأحمر، المرجع السابق، ص69.

[2]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 22.23.

الفصل الثالث

علاقة التأثير و التأثر

المبحث الأول: المدينة باعتبارها مركز سلطة الريف.

المبحث الثاني: ظاهرة الهجرة بين الريف والمدينة.

المبحث الثالث: التكامل الاقتصادي بين الريف والمدينة.

المبحث الرابع: العلاقات الاجتماعية.

تمهيد:

إن علاقة المجتمع الريفي المغربي في العصر الوسيط بالمدينة من القضايا والإشكاليات المطروحة، فهي إشكالية ذات أبعاد شتى ما تزال في التمحيص، فهناك تأثير عميق في العلاقة بينهما خاصة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في عملية التأثير والتأثر، لأنه إذا أمعن الدارس النظر في مراحل التطور المجتمع المغربي المديني والريفي معا فإنه يلتمس تماثلا وتشابها.

وباعتبار أن القبيلة تمثل أساس المجتمع العمراني البدوي علاقة متينة بفضائها الجغرافي، ومن أبرز هذا الفضاء "المدينة"، وبالرغم مما يتسم به هذا الفضاء من انسجام وتناسق ومن وحدة موضوعية فهو في نهاية الأمر منتوج اجتماعي[1]، كما يقول هنري لوفافر:" فلهذا الفضاء ــإذنــ إيديولوجية فما هي علاقة التأثر والتأثير إيديولوجيا بين المدينة الإسلامية المغربية وبين مجتمع ريفي لعب فيه التلاحم الدعوة الدينية بالعصبية القبلية دورا خطيرا"[2].

ومن هنا نلاحظ أن العلاقة بين الريف والمدينة تأخذ أبعاد مختلفة منه ما هو سياسي، واقتصادي واجتماعي.

[1]- الحبيب الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الاسلامي ، لبنان،ط 2، 1986، ص 209 .
[2]- نفسه، ص 210.

المبحث الأول: المدينة باعتبارها مركز سلطة الريف.

إن بلاد المغرب كانت مقسمة إلى أقاليم وعلى رأسها مشرفون يملكون صلة الوصل بين المدن وأريافها، فكان للمدينة تدخل مباشر في شؤون الريف وتوجيهها سياسيا وإداريا ومن ثم يخضع الريف لسلطتها[1]، وأبرز مثال على ذلك نجد تنس قد كانت خاضعة لملك تلمسان[2]، وأيضا ميلة التي كانت تابعة إلى قسنطينة حيث يذكر الوزان أنه من عادة أمير قسنطينة أن يبعث إلى مدينة ميلة واليا ليقضي ين الناس ويجبي ما خصص له من إيرادات في أن واحد[3].

فهذه العلاقة تبرز التأثير والتأثر، لكن لم تكن علاقتهما دائما علاقة خضوع وتبعية، ففي كثير من المرات كانت مبنية على المصلحة، أكثر من شيء أخر وأكبر دليل على ذلك، قبيلة بني توجين التي كانت لها علاقة عدائية مع المدينة باعتبارها مركز السلطة والأسرة الحاكمة، رغم رابطة العمومة مع الأسرة الحاكمة في تلمسان[4]، وفي ذلك يقول ابن خلدون:" ثم أعطوه أيدهم على الطاعة، ومفارقة قومهم بني توجين إلى السلطان يغمراسن، وصارت بلاد توجين كلها من عمله فاستقام لأمره في بني توجين ودانت سائر أعمالهم"[5].

وقد مالت العلاقة بين القبائل والأسرة الحاكمة للدولة الزيانية بين العداء تارة والود والصفاء تارة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على المصلحة، ومما يدل أيضا على ذلك أنه خلال عهد السلطان أبو حموا موسى الثاني كان شيخهم نصر بن عمر التيجيي أميرا في جبال الونشريسي للزيانين بعدما أعلن طاعته وقدم لهم حصة من المقاتلين لتساهم في الحروب التي تخوضها الدولة[6].

---

[1]- محمد حجي، المرجع السابق، ص113.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص35.

[3]- نفسه، ج2، ص60.

[4]-مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص22.

[5]-ابن خلدون، العبر، ج7، ص164.ينظر: يحي ابن خلدون ، المصدر السابق، ج1، ص ص 251.

[6]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص23..

وهناك قبائل أخرى كانت لها علاقة القبيلة بالأسرة الحاكمة مثل قبيلة بني عبد الواد[1]، وهي علاقة بلا شك الأكثر إيجابية إلا أنها في بعض الأحيان تبدو عدائية، ذلك أن بطون عبد الواد وقعت في نفس الروح القبلية وسيطرت على البعض منها روح المنافسة والدليل على ذلك ما أورده يحي ابن خلدون عن شخصية يغمراسن بنو زيان قال عنه:" وملك الشرفاء وشريف الأملاك، ونازعه الأمر بنو مطهر من قبيله بمظاهرة بني راشد ومالآة من سائر القبيل فأظهر الله على الجميع عناية بأمره وإعلاء لقدره، وإنه كان من أشد هذا الحي بأسا وأعلمهم في النفوس مهابة وجلالا وأعرفهم في مصالح قبيلته"[2].

وقد تناول هذه العلاقة بمزيد من الوضوح السلطان أبي حموا موسى الثاني، في قوله:" إنه كان على السلطان يرضيهم وأن يجعل على كل جماعة منهم شيخا من أكابرهم وأعيانهم على أن يكون كل واحد من هؤلاء الأشياخ من أكثر قبيله محبة له ورغبة في خدمته واستعدادا لتحريض جماعته على الطاعة وأسلمهم ريبة وأبعدهم عن النميمة والغيبة"[3].

ومنه تتبين لنا العلاقة بين الأسرة الحاكمة في الدولة الزيانية أن قبيلة عبد الواد كانت أكثر انسجاما من بقية القبائل البربرية الأخرى، مما يدل على أن السلطان جعل القرابة التي تربطه بين القبيلة وسيلة التقرب منه فقرب أفراد هذه الأسرة، وأدخلهم في خدمته واختار الشيوخ من أكابرهم وأعيانهم بشروط كان من أهمها محبتهم له ورغبتهم في خدمته واستعدادهم لتحريض جماعته على الطاعة مع قلة الريبة والبعد عن الغيبة والنميمة[4].

إضافة إلى العلاقات المتبادلة التي كانت تخضع إلى لون العصبية القبلية، التي تحدث عنها ابن خلدون ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض، فأما المدن والأمصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن يمتد بعضهم

[1]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص198.
[2]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص ص204 205.
[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 27.
[4]-نفسه ، ص28.

على بعضهم أو يعدوا عليهم فإنهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم وأما العدوان خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار عن الغفلة والغرّة.

وأما أحياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراؤهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة، وأما حللهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة ولا يصدق دفاعهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشد شوكتهم وكل أحد فيهم على نسبه وعصبيته وبها يكون التعاضد والتناصر، وإذ تبين ذلك في السكنى التي تحتاج للمدافعة والحماية فبمثله يتبين لك في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة أو إقامة ملك أو دعوة، إذ بلوغ الغرض من ذلك كله إنما يتم بالقتال عليه لما في طبائع البشر[1]، فإن الغلب الذي يكون به الملك إنما هو بالعصبية وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا إلا مع البداوة فطور الدولة من أولها بداوة[2].

وقد اشتهر الزيانيون بظاهرة الشرف الذي اعتبروه سلاحا وقد جرت العادة أهل البوادي الاهتمام بمسألة الشرف، ونتج عنه قيام كيانات سياسية، وقد برزت علاقة التفاعل بين الشرف والسلطة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني ورصد آليات استثمار سلاطين الدولة لخطاب الشرف من أجل اختياراتهم السياسية وتوجهاتهم المالية.

إذ تستند على دعوات مذهبية تحمل مشروع إصلاحي وتقود إلى حركة اجتماعية تنتقد إرادتها وتقود هذه الحركة إلى فجوات في تماسك المجتمع الذي كان يحافظ على نقاوة عصبية ويتسم بوفرة عدده وقوة شكيمته وخشونة طباعه.

فكثير ما مكنت هذه الخصائص العصبيات الحاملة لها من حسم صراعها على العصبيات الحاكمة في المدن التي ركزت على حياة الدعة والانغماس في الملذات[3]، وقد بدأت مرحلة صناعة الشرف الزياني منذ نهاية القرن 07هـ_13هـ، وتضاربت بشأنه الروايات بين من يجعله شرف

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 156 157.

[2]- نفسه، ص203.

[3]- ابن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق، ص ،ص150، 164.

متأصل وبين من ينفيه عن بني عبد الواد، حيث يقول ابن خلدون:"عن المنصور بن أبي عامر بن ادريس أخر ملوك الأدارسة، وإنصاف إلى قبيلة بني عبد الواد فأكرموا نزله وعظموا قدره وشرفه، وحكموه بينهم في الشرائع وانقادوا على أخرهم[1].

وذلك أن قدمنا الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبية فإذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم أو اشرفوا العبدان والموالي والتحموا لهم كما قلنا، ضرب معهم أولئك الموالي والمعتصمون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدها وكأنها عصبيتهم، وحصل لهم من الانتقام في العصبية مساهمة في نسبها.

وقد يكون الشرف أول بالعصبية منه للذهاب والحضارة لما تقدم ويختلفون بالجمال وينبغي في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من أشراف البيوتات أهل العصائب وليسوا منها في شيء، لذهاب العصبية جملة وكثيرا من أهل المدن الناشئين في بيوت العرب والأعجام موسوسون بذلك [2].

ومنه فإن ظاهرة الشرف قد كانت لها علاقة بين الريف والمدينة كمركز سلطة الريف، إضافة إلى مدينة القل التي حاول أمير قسنطينة إخضاعها إلى سلطته إلا أن سكانها كانوا يدافعون عن أنفسهم من خلال أنها محصنة طبيعيا أن يفصل بينهما وبين قسنطينة جبال شاهقة ومسافة مائة وعشرين ميلا[3]، فنلاحظ أن علاقتهما تكمن بين الإخضاع ورفض التبعية.

[1]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 190.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 163 164.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص54.

المبحث الثاني: ظاهرة الهجرة بين الريف والمدينة:

هناك صيغة جديدة في العلاقة بين الريف والمدينة رافقتها مظاهر التأثير والتأثر، ونشير منها ما تؤكد بعض النصوص أهميتها في حياة المدن المغربية وخصوصا تلك التي أسست في منطقة قبلية ريفية لتكون عاصمة لنظام اعتمد على عصبية قبلية[1] مثل زناتة التي كانوا بدوا رعاة[2]، ثم انتقل عدد كبير إلى المدينة ويؤكد ابن خلدون ذلك في قوله:" المغرب الأوسط وطن زناتة"[3].

فقد كانت لهذه الهجرة الأثر الكبير على الأوضاع الاجتماعية[4]، بانتقال العلماء والتجار والرحالة بين شرق المنطقة وغربها بدون سدود أو قيود[5]، فقد كانت المدينة قبلة للعديد من المتعلمين والعلماء القادمين من الأرياف، فنجد الكثير من العلماء هم ريفيون استقروا في المدن، مثل إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام المطماطي التنسي كان موطنه تنس عرض عليه السلطان في الكثير من المرات السكن في تلمسان فامتنع واستقر فيها بغرض التدريس فكان له طلبة من الشرق والغرب[6]، بالإضافة إلى هذا تؤدي الهجرة بازدياد الطبقات العامة في المدينة[7]، غير أنهم لما سكنوا المدينة أصبحوا سادة وأدان لهم جزء كبير من المغرب الأوسط.

وقد تحدث ابن خلدون عن هذه الظاهرة بقوله :"أن الملك يدعوا إلى نزول الأمصار وذلك أن العصائب والقبائل إذ حصل لهم الملك اضطروا إلى الاستيلاء على الأمصار لأمرين أحدهما يدعوا إليه الملك من الدعة والراحة وحط الأثقال واستكمال ما كان ناقصا من أمور العمران في البدوّ، والثاني دفع ما يتوقع على الملك من أمر المنازعين والمشاغبين لأن المصر، الذي يكون ملجأ

[1]-الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص212.
[2]-ابن الأحمر، المرجع السابق، ص11.
[3]-ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 27.
[4]-مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص ص28 29.
[5]-محمد حجي، المرجع السابق، ص114.
[6]-أحمد بابا التنمبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج، در، تح، محمد مطيع، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1421ه، 2011م، ص 164.
[7]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص182.

بمن يروم منازعتهم والخروج عليهم، وانتزاع ذلك الملك الذي سموا إليه[1]. نجد أن الهجرة من الريف إلى المدينة تعود إلى سهولة التنقل من ناحية، ولكثرة المال والعلم والصناعة في المدينة من ناحية ثانية، وبهدف تحسين المستوى المعيشي.

أن المدينة كثيرة العمران ويكثر ترفها وتكثر حاجة السكان إلى هذا الترف فتتقلب الضروريات وتصير الأعمال فيه كلها مع ذلك عزيزة ومرافقة غالية، بازدحام الغرض عليها من اجله، وبالمغارم السلطانية التي توضع على الأسواق والبياعات، والريفي لم يكن دخله كثيرا إذ كان ساكنا بمكان كاسد الأسواق في الأعمال التي هي سبب الكسب لذلك سكن المدن، فاتسعت أحواله وكثرت أمواله بسبب كثرة الأعمال ومنها يجيء ترفه وغناه[2].

أما عن هجرة المدينة إلى الريف لا تتحدث في المصادر والمراجع إلا عن قرية العباد يوجد بها فندق لإيواء الغرباء التي تقع في جبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان، وهي كثيرة الازدهار وافرة السكان والصناع[3].

[1]-ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 242,

[2]-نفسه، ص 400.

[3]-حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 24.

المبحث الثالث: التكامل الاقتصادي بين الريف والمدينة:

إن اختلاف الأجيال في أحوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط، فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد إلى البدو، لأن متسع لما يتسع له الحواضر من المزارع والفدن[1]، والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء البدو أمرا ضروريا لهم ما فوق الحاجة من الغني والرفه.

فإن هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض وإزدراعها وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته وإن هذه الصنائع قديمة لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو إذ أنها أقدم من المدن وسابقة عليها لا يقوم عليها أهل المدن ولا يعرفونها لأن أحوالهم كلها ثانية على البداوة[2]، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر.

فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون فيها صرحها، ويبالغون في تنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو أنية أو ماعون، وهؤلاء هم الحضر ومعناها هم الحاضرون، أهل الأمصار والبلدان ومنهم من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة، وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو، لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم[3]، إن ازدهار النشاط الإنتاجي في الريف مرتبط بطبيعة الحال بمصير المدينة، وبديناميتها الاقتصادية.

---

[1]- الفدان: بالتثقيل آلة الحرث، وبالتخفيف تعني المصباح. ينظر: ابن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق، ص 148.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص442 443.

[3]- نفسه، ص ص 148 149.

فلا غرو إذن أن تؤثر هذه الدينامكية في نمط الإنتاج الريف، وفي تحديد وسائل الإنتاج الزراعي بصفة خاصة[1]، فلهذا يعتبر الريف بمثابة المزود الأساسي للمدينة بالمنتجات الفلاحية والمواد الأولية، فمن حيث الأنشطة فهناك قبائل مستقرة تمارس الزراعة وأخرى منتقلة تعتمد على تربية المواشي ومن بين القبائل من يجمع بين الحرفين وقد استفادت بعضها من ضعف الدولة وساهمت في موت الدول بالحروب والفوضى، كقبيلة بني عامر والسويد من بني هلال وبني راشد من زناتة وقد اتبع عبد الرحمن ابن خلدون طريقة في تقسيم القبائل على أساس أنشطة الإقتصادية[2].

وبالمقابل فالمدينة تزود الريف المنتجات المصنعة والاستهلاكية وأدوات التجهيز[3]، وهكذا تتبين أن أجيال البدو والحضر طبيعية لا بد منها[4]، فقد تحكمت المسالك الكبرى البرية والبحرية في النشاط الاقتصادي[5]، وذلك أن الحرفيون كانوا تجارا ينتقلون ببضاعتهم ين المدن والأرياف ومساهمة المرأة بشكل كبيرا أيضا[6].

وبالرغم من تباين السمات بين مدينة وأخرى فإنها جميعا تتكلم لغة واحدة هي لغة الحوار المتواصل مع الريف فهو الذي يوفر لها الحزام الزراعي الضروري ويمدها بما تحتاج من قوة بشرية فليس هنالك مدينة بدون قرى تنسب إليهاّ، وبدون محيط ريفي تابع لها، فلا بد لها من السيطرة على محيط تابع مهما كان صغيرا [7].

تحدثنا لحد الآن عن المدينة وعن المجتمع الريفي وكأنهما وحدتان عمرانيتان خاليتان من الثغرات والتناقضات، ولكن الواقع التاريخي أثبت التناقضات الاجتماعية، وما أفرزته من صراع ذي محتوى اجتماعي، وإن تلون بألوان أخرى في كل من المجتمعين المديني والريفي ويندرج في

[1]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 215.
[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص28.
[3]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 183.
[4]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 148.
[5]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 211.
[6]- الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص106.ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص192.
[7]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 210.

مفهومنا للمجتمع وذلك الفضاء الجغرافي القبلي الذي يبدوا من الخارج متحدا ومتماسكا،[1] توحد بين فئاته وعشائره العصبية القبلية[2].

ولكن المجتمع القبلي الريفي عرف تناقضا وصراعا حادا[3]، وأبرز مثال على ذلك العلاقة بين القبائل والأسرة الحاكمة التي كانت تمثل مركز السلطة السياسية في المدينة، واتسمت بالعداء تارة وبالوفاء تارة أخرى[4].

فيشير ابن خلدون على أن أهل البدو أقرب إلى أهل الخير من أهل المدينة وسببه أن أهل المدينة لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه.

لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم فنجد الكثير منهم يقذعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل الريف وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق.

وبالنسبة إلى أهل المدينة أقل بكثير، فهم أبعد إلى عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها، فيسهل علاجهم من علاج أهل المدينة، وأيضا أشار ابن خلدون على أن أهل الريف أقرب إلى الشجاعة من أهل المدينة.

وذلك أن أهل المدينة ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا أمرهم إلى واليهم الحاكم التي توالت حراستهم، قد ألقوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الأجيال، حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعة.

---

[1]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 214.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 160 162. ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 19.

[3]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق ، ص 214.

[4]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 198. ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ص 25.

عكس أهل الريف لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وإنتباذهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتفردون في الفقر البيداء، واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع[1].

لكن لا ينبغي أن نغفل في دراستنا لعلاقة المدينة بالمجتمع الريفي عن ظاهرة بارزة في هذا الموضوع عرفها المجتمع المغربي، ويعني بذلك المدن المتعددة التي أنشأها سكان المجتمع الريفي بعد استيلائهم على السلطة[2]، باعتبار أن المدينة هي الأوطان الجامعة والمقصودة بها خمسة أمور فيها:

أن يستوطنها أهلها طلبا لسكون والدعة وحفظ الأموال فيها من استهلاك وإضاعة وصيانة الحريم والحرم من انتهاك ومذلة والتماس ما تدعوا إليه الحاجة من متاع وإضاعة والتعرض للكسب وطلب المادة فإن عدم فيها هذه الأمور الخمسة فليست من مواطن الاستقرار فهي مترل دمار[3].

ويرى ابن أبي زرع أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء النهر الجاري، المحرث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان. إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبايرها[4]، ويرى ابن خلدون المدن التي لم يراعي فيها طيب الهواء تكون كثيرة الأمراض في الغالب[5].

لذا نجد أن أغلب العناصر السكانية في هذه المدن التي أنشأها سكان المجتمع الريفي، فإننا نجد أن أغلبهم وخصوصا في البداية من القبائل النازحة من الريف[6].

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص151 153.

[2]- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 218.

[3]- عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي ، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، ص19.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 33. ينظر عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، المرجع السابق ، ص 20.

[5]- عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات، المرجع السابق،نفسه، ص 20.

[6]-الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 219.

وفي هذا الصدد استنتج ابن خلدون هذه الحقيقة من التجربة التاريخية لكثير من المدن المغربية بصفة خاصة يقول:" إن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه، أنّا إذا فتشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قراه وأنهم أيسروا فسكنوا المصر وعدلوا إلى الدعة والترف الذي في الحضر وذلك يدل على أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أهل لها"[1].

نجد العلاقة الموجودة بينهما وصلنا إلى أن المدينة لا يمكنها أن تستغني عن الريف والعكس صحيح، وبالتالي هي علاقة تأثير وتأثر.

[1]- ابن خلدون، المقدمة ، المصدر السابق، ص151.

المبحث الرابع: العلاقات الاجتماعية.

يعالج ابن خلدون في مقدمته الظواهر الاجتماعية أو ما يسمى أحوال الاجتماع الإنساني وتنقسم هذه الظواهر إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلقة، فإذا نظرنا إليها من ناحية وظائفها أي أغراض التي ترمي إليها والنواحي التي تقوم بتنظيمها ألفينها أنواع مختلفات فمنها:

النظم العائلية التي تتعلق بشؤون الأسرة وتنسيق العلاقات التي تربط أفرادها ببعضهم البعض وتربطهم بغيرهم، وتحدد حقوق كل منهم وواجباتهم، وذلك كنظم الزواج والطلاق والقرابة والميراث وما إلى ذلك.

والنظم السياسية التي تتعلق بشؤون الحكم في الدولة وتنسيق سلطاتها وتحديد اختصاصات كل سلطة منها وحقوقها وواجباتها وصلتها بالسلطات الأخرى بالأفراد والعلاقات التي تربط الدولة بما عداها.

والنظم الاقتصادية التي تتجه إلى شؤون الثروة في المجتمع، ومنها النظم الخلقية التي تعنى بتميز الفضيلة من الرذيلة والخير من الشر وتحدد ما ينبغ أن يكون عليه السلوك والتفكير لإرضاء العرف الخلقي في المجتمع.[1]

[1]-ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 23 24

1_ الزواج:

تعتبر الأسرة أصل التنظيم الاجتماعي لأي مجتمع سواء كان ريفي أو مدني، والعمود الفقري والركيزة الأساسية لبنيانه، فهي نواة أساسية والخلية الأولى في أي مجتمع[1]، فالأسرة في صورتها المصغرة تتكون من أب وأم ومجموعة من الأبناء فل سبيل إلا من ابتغى تكوين أسرة إلا بالزواج والزواج سنة الله في خلقه به تحفظ البشرية من الزوال وبه تحفظ الأعراض وتصان كرامة المرأة، وتكمن فائدة الزواج غض البصر وتحصين الفرج، والاطلاع على أعظم لذة من اللذات الجنة وكثرة النسل[2].

وللنكاح أركان متفق عليه في أي مجتمع سواء ريفي أو مدني لهذا لا نلمس أي اختلاف في ما يخص شروطه، فقط نجد الفرق في عادات كل مجتمع ونبرز مثال على ذلك:

الخطبة سواء في الريف كانت أو المدينة لا يوجد فيها اختلاف، أما عن **العقد** نجد بعض الاختلافات أن الأرياف تقرا الفاتحة بالمساجد وتدخل كبار القرية في القضايا العائلية[3]، ويتم العقد بعد البناء[4] أما عن المدن فتقرأ في البيوت خاصة العائلات الميسورة الحال، بحضور فقط أفراد العائلة[5].

أما بالنسبة **للصداق**، اختلف المهر حسب موضع العائلات في الهرم الاجتماعي، أي حسب الحالة المادية، فمثلا الأرياف تتميز بالبساطة إذ لم يتعدى غالبا فراشا ولحافا وبعض الملابس والحلي لا سيام الأمهات الفقيرات اضطرت إلى بيع ما يملكهن بناتهن، بينما الآباء يجهزن بناتهن بالمهر الذي حصلوا عليه من الزوج[6].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 284.

[2]- البرزلي، المصدر السابق، ج2، ص 176.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص ص 199 200 . ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 288.

[4]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص13.

[5]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص287.

[6]- أبو مصطف كمال، المرجع السابق، ص 12. ينظر: مختار حساني، المرجع السابق،ج3، ص 201.

على عكس المدن كانت أحيانا يقمن الأولياء بالتفاخر والسمعة في المهر[1]، وكان الآباء يقمن بإعطاء الهدايا والهبات من صغرهن لبناتهن[2]، في المدن كانت تشترط خادمة أو وصيفة للعروسة كما تشترط الهدية على جري العادة[3].

والملاحظ أن تكاليف الزواج كانت تختلف بين الأرياف والمدينة والمرجح أن هذه الأخيرة كان أغلى ثمنا[4]، وقد كانت الأسرة الزيانية تخضع لسلطة الرجل الأكبر سنا من الأب ينتقل إلى ابنه الأكبر سنا يزوجها لمن يشأ ويمتنع متى أراد وقد يستغلها في أغراضه الشخصية[5].

ويذكر الونشريسي أن الكثير من أهل المغرب اعتادوا التهادي في الأعراس فكانوا يتهادون بالدراهم والدنانير والجزور وبعض الأطعمة كالزيت والشعير واللحم والفاكهة[6]،سواء في الريف أو فيما يخص المدينة,

والملاحظ أن العروس في مجتمع ريفي أو مديني، كانت تحرص على تجميل وتزيين نفسها ليلة الزفاف وكانت الماشطة تتولى مهمة تجميلها نظير أجر معين ومن وسائل تجميل العروس دهان جسدها ووجهها ببعض الطيوب والأصباغ التي تظهر جمالها[7]، تتجمل العروس بالكحل وهو عبارة عن حجر أسود وتقوم بالترجيح وهو أحف ما حول الحاجبين من الشعر والتلمية وتعني خضاب الشفاه واللثاث وتحريز الأسنان وتخضب العروس يديها ورجليها بالحناء المنقوشة، وتتقلد القلادة الذهبية والفضية ومن اللؤلؤ والزمرد والمرجان.

إذا كانت من الطبقات الغنية، وتلبس في معصميها السوار وفي أصابعها الخواتم وفي رجليها الخلاخل وتتطيب بشجر العود وبدهان أزهار الأس والمسك والعنبر، وتتخذ بعض النساء زينة

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص96.
[2]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 12.
[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 288.
[4]- البرزلي، المصدر السابق، ج2،ص 208. ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 246.
[5]- العقباني، المصدر السابق، ص ص135 136.
[6]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص ص 15 16.
[7]- نفسه، ص ص16 17.

الوشم بأن توخز بعض أطراف من جسمها بإبرة حتى يخضر الوشم أو يسود، وتزيين العروس غرفتها بالفرش من حصير وبسائط ووسائد وأسرة وستور وأرائك[1].

تعتبر الأسرة الزيانية وبالخصوص الريفية أسرة بسيطة في حياتها وسكنها، لذا نجد تماثلا وتشابها أكثر من الاختلاف وهذا راجع إلى أي مجتمع في دولة المغرب الإسلامي وذلك من خلال بعض الملاحظات الأسرية في العهد الزياني، شيوع ظاهرة الزواج المختلط بين البربريات والعرب[2]، كان أهل المغرب يحرصون على ألا تتزوج اليتيمة إلا بعد البلوغ وبموافقتها، ويتأكد الشهود من ذلك عند النظر إلى وجهها بالإضافة إلى استشارة ثقات النساء[3]. إذا حدث مشكلة بين الزوجين طلب أحدهما من القاضي إرسال أمينة من النساء لمعرفة المتعدي منهما.

يلاحظ في المجتمع الزياني كثرة الهبات والصدقات والوصايا داخل نطاق الأسرة، فهناك العديد من النوازل والفتاوى التي تفيد بأن الرجال والنساء كانوا يحرصون على التصدق على أولادهم ويوصون جزء من أملاكهم لأبنائهم وأحفادهم في الأرياف والمدن.

ويلاحظ إذ فقد الزوج في أرض العدو أو أثناء رحلته للحج أو التجارة كانت زوجته تتولى الوصاية عل ابنتها، فإن العم هو الذي يقوم بتزويج الابنة بعد أن تأذن له الأم بذلك، أما إذا كان للبنت أخ بالغ عاقل فهو أولى بعقد نكاحها.

ومنه نلمس علاقة التأثير والتأثر بين الزواج في الريف، والزواج في المدينة بأنه لا يوجد اختلاف كبير في العادات والتقاليد المتعارف عليا من شروط الزواج وما يلحقها وتقاليد احتفالية.

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 290.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص84.

[3]- أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص45.

2 _الطلاق:

إن مسألة الطلاق لا تختلف بين الريف والمدينة إذ نلمس فيها تشابها وتماثلا كبيرا في الحياة الأسرية إلا أن كل أسرة ولها خصوصيتها تفيد إحدى الفتاوى الفقهية بأن من بين المشكلات العائلية والخلافات بين الأزواج هو ما يلحقه الزوج من أذى لزوجته ولا يتخذ الأذى صورة واحدة، بل يتنوع ويتعدد بتعدد الأحوال، فقد يكون أذى جسديا وقد يمتد ليتحول إلى أذى نفسي تعاني منه الزوجة .وطبيعي إن تنفر المرأة من أذى زوجها لها، وتسعى لما يتاح لها من وسائل إلى محاولة رفضه.

وتشير بعض النوازل إلى أن الزوج ينهج أسلوب الأذى طمعا في ارعواء زوجته وخروجها عن الطيش والخفة ،وهذا ما شهد به نازلة عرضت على أبي القاسم الغبريني، بخصوص امرأة عرفت بالطيش والخفة في مجتمعنا وقد كان هذا من وراء طلاقها من قبل ثلاثة أزواج كل واحد كان يشكوا من سوء خلقها وقد عزم الرابع على الزواج منها مصمما على أن يجد من ذلك الطيش الذي عرفت به فلم يزدها ذلك إلا إصرارا وبعد أن رفع أمرهما إلى القاضي، أمر بأن تسكن معهما أمينة النساء حتى شهد بما عملت من سلوكهما ومع ذلك فقد بقي الزوج يضيق على زوجته وهي عازمة على تخلقها بالخفة وعدم الانقياد لزوجها[1].

فقد سئل إبراهيم العقباني عن رجل ضرب زوجته أو أراد ضربها فهربت لبيت أبيها،كما سئل محمد بن مرزوق عن امرأة جاءت لأهلها مضروبة الظهر والذراعين فقيل لها ما بك هذا فأشارت لزوجها وسئل اليزناسي عن رجل تزوج بامرأة مدة عشر سنوات فوقعت بينهما منازعة فوكلت أبيها ليدافع عنها أمام زوجها[2]، فنجد هذا الأذى الجسدي سواء في الريف أو في المدينة.

[1]- ربوح ازهور، المرجع السابق، ص ، ص203-205.

[2]- عبد الملك بكاي، المرجع السابق، ص 187.

إذ وجد عيب في المرأة أو في الزوج يمكن طلب الطلاق ومن بين هذه العيوب التي أوجبها الفقهاء أربعة عيوب واختلفوا في نوع العيوب منها، اتفق كل من الشافعي ومالك بن أنس على الجنون، البرص، داء الفرج، قرن أو رتق في المرأة أو عنة في الرجل (ترد)، واختلف أصحاب مالك في أربع، في السواد، القرع، وبخر الفرج ونخر الفم فقيل ترد أو ترد[1].

ومن النوازل أيضا الحياة الأسرية أن هناك من كان يتزوج بكرا ثم يدعي أنه وجدها ثيبا ويخبر ذلك في حينه[2]، ولهذا نستطيع أن نقول بأن الأسرة الزيانية وبالخصوص الريفية هي أسرة بسيطة في حياتها وسكنها، وبساطتها لا تعني أنها عيشة هذه الأسرة خلت من المشاكل إلا أنها قد تعددت أسباب مشكلة الطلاق سواء في الريف أو المدينة باختلاف الحياة الأسرية ، فأدت إلى بروز مشاكل أسرية نتج عنها تفكك الأسرة وضياع كيانها كما سبق وذكرنا.

[1]- ربوح أزهور، المرجع السابق، ص ص138 139.

[2]- تجدر الإشارة على أن القضاة و أهل الفتاوى كانوا يقضون بخصوص تلك النازلة بضرورة فحص الزوجة بعض النساء من ذوي الخبرة و الأمانة فإن قلن القطع جديد لم يقبل منه و إن قلن القطع قديم فعلى وليها إرجاع صداقها إلى الزوج ويتم الطلاق. ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 256. أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 13.

3_المرأة بين الريف والمدينة:

أفادت كتب النوازل الفقهية عن وضعية المرأة ومكانتها المحترمة في الوسط الاجتماعي وقد تميزت مترلتها وتباينت حسب الظروف المادية والاجتماعية التي عاشتها مع أهلها في المدن والأرياف على حد سواء، في تدبير شؤون المترل والقيام بأعبائه، وتربية الأطفال زيادة على هذا فإنها كانت تنشط في مجالات أخرى كالخياطة[1] والغزل[2] .

وقد اختلفت المرأة بين الريف والمدينة، فالريفية تكد وتجد في العمل حتى يكاد يكون الزواج في بعض الأحيان نوع من العبودية والإجارة لا يمكنها التخلص منه، بينما تكون حياة المرأة الحضرية أكثر رفاهية ومما يؤكد ذلك قول المازوني :" كان شيخنا عبد الله السبتي رحمه الله ت 782ه/1389م، يحكي عن شيخ من شيوخنا أتته امرأة من المدينة وكان قاضي انكحة، تشكو وجع يديها من العجن، قام زوجها بشراء خادمة تخدمهن وجاءت بدوية تشكوه خدمتها من الطحن وحمل الماء والحطب وغير ذلك من خدمة البادية ومشقاتها فأمرها أن تقع معه وتعاشره على ذلك وقال إن نساء البوادي دخلن في ذلك"[3] .

ومنه نلمس الاختلاف بين حياة المرأة في الريف وحياتها في المدينة واختلاف الحقوق والواجبات، فنجد المرأة الريفية كانت تعمل إلى جانب الرجل مثل السقي والرعي وشؤون الزراعة[4]وتعيش معاناة ومشقة في أعمالها[5]، ولم يكن لها الحق في الراحة والرفاهية عكس المرأة في المدينة فقد كان لها كل الحقوق ولم تعش المشقة التي تعيشها المرأة الريفية خاصة نساء البلاط الزياني الذين كانت لهن جاريات تخدمهن[6]، ويشير ابن قنفذ إلى مساهمات المرأة في الحياة السياسية ولم

[1]-الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص 106.
[2]-عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص 192. ينظر: مختار حساني، المرجع السابق،ج3، ص 198.
[3]-مختار حساني، نفسه، ص 201.
[4]-الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص343.
[5]-عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص 354.
[6]-نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق ، ص ص 191 192.

يقتصر على نساء المدينة فحسب وإنما امتدت إلى سائر نساء الأرياف[1]، فلن تظل عالة على المجتمع وخادمة للرجل في مترله فكانت داخل القبيلة تتمتع بحرية واسعة ولها نفوذ معتبر فكانت تشارك في جلسات بحث القضايا القبلية كتنظيم الرحيل واختيار المكان والزمان لنصب الخيام[2].

برغم من ذلك فإن نساء المدينة أكثر من الريف في هذا المجال هذا ما ذكرته المصادر وابرز مثال على ذلك أم يغمراسن بن زيان سوط النساء[3] التي شهد لها التاريخ.

وكانت المرأة الريفية تخرج إلى السوق سافرة الوجه وكان أهل الريف لا يحجبون نسائهم ولا يؤاخذهم على ذلك [4] بالرغم من العصبية القبلية [5]، وهذا ما انطبق أيضا على المرأة في المدينة إذ هي الأخرى لم تكن محجوبة داخل المترل على الخصوص الطبقة الراقية بل كانت تتجه إلى المنتزهات [6]، وتخرج إلى السوق لإحضار مطالب الأسرة[7].

وقد حافظت المرأة الريفية والمدينية على شرفها وعفافها وتدينها وعلاوة أخلاقها[8]، وكن صالحات وحافظات للغيب وشهدت مجالس العلم والأدب[9]، وقد عرف المغرب الأوسط العديد من الصالحات بمكانتهن العالية ومن أبرزهن: (فاطمة بت أبي عبد الله، والمؤمنة التلمسانية، وأم الفتح، وعائشة بنت الأكحل وستم بنت أبي علي الحسن...)[10] .

[1]- ابن قنفذ ، المصدر السابق، ص ص 86 87.

[2]- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3_4ه/9_10م ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 318.

[3]- الزركشي، المصدر السابق، ص 22 .ينظر : ابن خلدون ، العبر، المصدر السابق، ج 7، ص 252.

[4]- الونشريسي ، المصدر السابق، ج11، ص 165.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص، ص 160، 162.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص258.

[7]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 199.

[8]- البكري، المصدر السابق، ص 188. ينظر: ابن خلدون ، العبر، المصدر السابق، ج7 ،ص 201.

[9]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 318.

[10]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 193 194.ينظر: ابن مريم ، المصدر السابق، ص 258. ابن قنفذ المصدر السابق، ص80.

وقد كان للمرأة حقوق خلاف المرأة الريفية فمثلا الميراث، فقد أعطى للمرأة في المدينة حقها في الميراث ويقول الله تعالى في إبطال ظلم الذين كانوا يمنعون النساء من الإرث ويجعلونه للرجال خاصة من سورة النساء :" للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا"[1].

قد اعتبرت الشريعة، المال من الحقوق الثابتة للفرد لا يجوز لأحد أن يتدخل فيه بالمنع أو الإتلاف وأنزلت على المعتدي على مال الغير عقبات جنائية صارمة، وقد حرص الفقه على تأكيد هذه المقاصد، فقرر حرمة مال الفرد، و لم يجوز لأحد أن يتدخل في التصرف فيه إلا إذا كان وليا أو مقدما أو وكيلا وفق الشروط المعتبرة في هذه الأحوال.

وبناء على ذلك، فقد راعى الفقه حق المرأة في مالها اكتسابا وتداولا وتصييرا، و لم يجز الاعتداء على أموالها، وأتاح لها حق التصرف الراشد فيه بيعا وشراء وكراء وشركة.

هناك نازلة تثبت كيف أن الفقه، استجابة لمقاصد الشرع، منع التصرف في مال المرأة بغير حق، فها هو أب يدفعه الطمع والحرص على تحقيق مصالحه الذاتية إلى أن يضع يده على مال بناته، ويبيع لهن بعض مصالحهن من أجل أن يرد ما عليه من ديون عرضت على ابن لبابة لمعرفة الحكم الشرعي في هذا السلوك:"الحكم الشرعي في ذلك منع الأب من بيع ما هو ملك لبناته مما تصير لهن بالهبة من قبل أمهن، وبالتصيير المتقدم في الأب في الثلث الذي كان قد وجب لهن إذ ظهر أنه إنما بيع ذلك لما يخصه من أداء الدين الذي عليه، بل واجب أن يحول القاضي بينه وبين مال بناته إذا ظهر بالبيان للخوف على ذلك في جهته، ويجعله موقوفا بيد ثقة"[2].

[1]- سورة النساء، الآية، 7.

[2]- ربوح أزهور، المرجع السابق، ص ص299- 300.

وأفتى ابن لبابة فتواه بوجوب أن يكون ما أخذه الأب من مال بناته دينا عليه يفرض عليه أن يسدده لهن إذا كان فعله قد تم، وبهذا اكتسبت المرأة حقا قويا سواء على مستوى الممارسة الحياتية، وهو ما يدل على أن المرأة كانت تملك حق رفع الدعاوى والتظلم حتى ولو كانت في موقع مرجوح السند الشرعي والقانوني، أو ضعيفة الحجة والبينة.

وأولى الظواهر في معاملات المرأة المالية أن سلوكها المالي مرتبط بأهليتها لمباشرته أو عدم مباشرته، وذلك حتى لا تكون المرأة عرضة لأساليب الحيل والتدليس التي يمارسها بعض الرجال، فإذا ثبت سفهها كان عملها باطلا، انسجاما مع رعاية الشريعة لحقوق الناس، لهذا برهنت مجموع النوازل على أن المرأة تصرفت وفق وعيها بجواز القيام بمختلف التصرفات المالية في حق أملاكها.[1]

إلا أن مجتمعات ريف المغرب الأوسط عرف بحرمان المرأة من الميراث[2]، على أن هذا الأمر كان أكثر انتشارا في الريف [3] مما عليه عند المدينة وهناك عدة أدلة، عدم استفاء حقوق المرأة وعدم توريثها وانفراد الإخوة بالملك، معتمدين في ذلك على أن المرأة لا تطالب بميراثها من أقاربها خوفا من قطع الرحم، وخلاف ذلك أن المرأة في المدينة تعودت على أخذ ميراثها والمطالبة به.

وفي هذا الصدد يقول البرزلي:" سئل أبو القاسم الغبريني بعد أن توفيت فاطمة بنت عبد الله بن محمد بن الحسن ورثها بعلها يحى بن فلان، وقد ورثت على اثر وفاة أبيها مع أختها من الأم مريم"[4].

مما يدل على ضعف القيم الأخلاقية لدا بعض الرجال، فيسقطون في مهاوي الظلم والتدليس والاحتيال، وقد ينهجون الطغيان علنا ويسكتون صوت المرأة إسكاتا[5].

[1]- ربوح أزهور، المرجع السابق، ص 302.
[2]- محمد فتحة ، المرجع السابق، ص 72.
[3]- الونشريسي ، المرجع السابق، ج11،ص 293.
[4]- البرزلي ، المصدر السابق، ج2، ص 251.
[5]- ربوح أزهور، المرجع السابق، ص 309.

ومنه يمكن أن نستنتج إن العلاقة بين المرأة في الريف والمرأة في المدينة تخللتها بعض الاختلافات حسب مكانة المرأة في المجتمع، إلا انه تبقى هناك أشياء مشتركة بينهما في غالب الأحيان لأن المرأة هي كيان المجتمع عامة والأسرة خاصة، وهذا ماتحدثت عنه النوازل الفقهية المتصلة بموضوع حقوق المرأة المالية والاجتماعية في المغرب الأوسط وقد مكنتنا النوازل من رسم صورة واضحة المعالم[1] عن العلاقة التي تكمن بين المرأة الريفية والمدينية.

[1]- ربوح أزهور، المرجع السابق، ص 159.

4_العادات والتقاليد بين الريف والمدينة:

الأعياد:

لقد اهتم سكان المغرب الأوسط في العهد الزياني بالمواسم والأعياد المختلفة، كعيد الفطر والأضحى والاحتفال بالمولد النبوي الشريف[1]، وهذه الأعياد كان يحتفل بها كل من أهل الريف والمدينة، إذ انه لا يوجد اختلافات في عاداتهم وتقاليدهم فقد اختلفت حسب الطبقات الاجتماعية والمستوى المعيشي.

يحتفلون بعيد الفطر بعد شهر رمضان يجتمع الرجال صبيحة كل عيد للذهاب للصلاة كما هي عادة أهل الريف والمدينة على حد سواء[2]، توزع الصدقات والهدايا وتصنع الحلويات وتزين المساجد وتكثر الزيارات بين الأقارب.

وفي عيد الأضحى تذبح الذبائح وتوزع الصداقات كذلك[3]، وهذا تقليد اعتمده كل من أهل الريف والمدينة لذلك لا نجد اختلاف كبير، والاختلاف يكمن في اختلاف الطبقات باعتبار المدينة مركز للسلطة والأسرة الحاكمة فان احتفالات السلاطين والبلاط الزياني بطبيعة الحال لن تشابه الطبقة العامة وأهل الريف ما عاد الطبقات الميسورة الحال.

وعلى سبيل المثال احتفال السلاطين بالمولد النبوي الشرف ومن بينهم السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي كان يحتفل مع العامة والخاصة من سكان بلاد المغرب الأوسط، وفي هذا الصدد يقول التنسي :"كان يقوم بحق ليلة المولد فيحتفل بما هو سائر المواسم يقيم مدعاة يحضر لها الأشراف والسوقة فيلتمس زرابي مبثوثة وشموع كالأسطوانات وأعيان الحضرة على مراتبهم"[4].

[1]-محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج2، ص، ص 372 377.
[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 270.
[3]- نفسه، ج1، ص 22.
[4]- التنسي، المصدر السابق، ص162.

تختلف الاحتفالات ففي تلمسان تكون الاحتفالات والأعياد بتقاليد خاصة مثل الشموع الملونة ورائحة البخور الزكية المنتشرة في أجواء شوارع تلمسان أما في الريف هناك بعض التقاليد مثل الاحتفال بشعبانة، أما عيد الأضحى الذي كان مصاحب للحج كانوا يحضرون له بتهيئة الثياب البيض والتزيين بالحناء والاحتفال الشعبي فتعددت طرقه منها زيارة الأشياخ والعلماء[1].

نستنتج أن الحياة الاجتماعية في أرياف ومدن المغرب الأوسط يغلب عليها الطابع الطبقي اضافة إلى المستوى المعيشي، هذه كذلك لها دور في علاقة التأثير والتأثر بين سكان المدن والأرياف، وبما أننا بصدد دراسة علاقة داخل مجتمع واحد فلن يكون هناك اختلاف متباين بل نلمس التأثير، وهنا أهل الأرياف يتأثرون بالمدن في عيشهم ويأخذون بعض من عاداتهم.

5_اللباس والأكل:

تعددت أسباب لجوء الإنسان إلى اللباس فكان من أجل الوقاية، وتقصد بذلك الوقاية من الحر والبرد ومن أجل ستر العورة، وكما هو معروف أن اللباس من أهم ما تزين به الإنسان على مر الزمان، وان المادة العلمية التي تطرقت إلى الألبسة والأطعمة.

مما اوجد صعوبة في إعطاء صورة عنها ورغم هذا فقد تطرقنا في الفصول السابقة عن أنواع الألبسة والأطعمة في كلا من الريف والمدينة وقد تنوعت بتنوع الطبقات الاجتماعية فلباس الطبقة الخاصة من سلاطين وقضاة وفقهاء حيث يقول التمبكتي في نيل الابتهاج :"وأن تلبس أحسن لباس حسنه وأوسعه"[2] واللباس في الريف كان أكثر بساطة مما كان عليه في المدينة.

[1]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، 148.

[2]- التمبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، 134.

فقد حاولوا الظهور أمام الرعية بمظهر العظمة والجلال، فلباس السلطان الزياني متميز عن الرعية فهو في غاية الأناقة وكان السلاطين يلبسون الحرير[1]، وكانوا يتعممون بالعمائم المطروزة بالذهب، أما سكان الأرياف اختلف لباسهم بطبيعة الحال بين الجودة والرداء وهناك مناطق ألبستها جيدة وأخرى رديئة، وفي هذا الصدد يقول الوزان :"يرتدون لباسا رديئا لفقرهم"[2].

وأما اللباس الجيد فقد وجد في بعض المناطق الريفية وكان لباسهم جيد ربما لوجود احتكاك دائم مع أهل الحضر ومن ثم تأثروا بهم في هذا المجال إضافة إلى أهل البوادي كانوا يلبسون ألبسة خشنة على خلاف أهل المدينة[3].

ومن هنا نلمس علاقة تأثير وتأثر أن أهل الريف كانوا يحتكون بأهل المدينة ويتأثرون بلباسهم ونمط عيشهم، أما فيما يخص الطعام كان أيضا اختلافه باختلاف الطبقات فقد تباين بطبقة وأخرى وتأثر بأحوال الدولة ففي بداية الدولة كانت معيشتهم بسيطة ثم تطورت وأصبحت الطبقة الغنية تتأنق في الأكل والشرب[4] هذا فيما يخص أهل المدينة أما الريفيون فقد اختلف طعامهم بين أوقات الرخاء وأوقات المجاعات وقد تأثروا بالمدن في أكلهم وشربهم.

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص115.

[2]- الوزان، المصدر السابق، ج2،52.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص267.ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ج3، 122.

[4]- نفسه، ج 1، ص 265.

الخاتمة

الخاتمة

من خلال دراستنا المتعلقة بالمجتمع بين الريف والمدينة في المغرب الأوسط في العهد الزياني توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات هي:

أولا: أن تلمسان كانت مقر السلطة المركزية، وكانت تضم العديد من المدن السابقة ذكرها، وقد كانت الحياة الاجتماعية بمدن وأرياف المغرب الأوسط متميزة بتركيبتها السكانية التي هي عبارة عن مزيج من البربر إذ هم السكان الأصليين وكانوا عبارة عن قبائل متنوعة منها من كانت في الريف واستقرت به واتخذته مسكنا ومرعى.

وأخرى استقرت بالمدن باعتبارها مركزا للسلطة، من هذه القبائل نذكر: زناتة وبنو يفرن وبنو توجين ومغراوة...وكل قبيلة كانت تتفرع إلى بطون، وكانت القبائل التي بالأرياف تقطن بجانب الجبال والسهول كقبيلة بني راشد، اضافة إلى العرب الذين كانوا في المغرب الأوسط مع الهجرات الهلالية، والأقليات من الأندلسيون واليهود والنصارى، إذن فان التركيبة السكانية للمجتمع الزياني كان مزيج من السكان.

ثانيا: إن طبقات المجتمع الريفي والمديني والتمايز الطبقي بينهما، فتشكلت طبقات المدينة من حكام الذين انحصروا في البيت الزياني إذ يعتبر الأسرة الحاكمة، والعلماء والفقهاء والتجار وأصحاب الحرف والمهن والمتصوفة، أما المجتمع الريفي فلم يختلف كثيرا عن المدن فقد احتوى طبقة رؤساء وشيوخ القبائل إذ كانوا يتولون شؤون القبائل، والفقهاء والعلماء والمتصوفة أيضا و لم يخلو من فئة الحرفيين والمزارعين والرعاة.

وقد ساهم هذا التنوع العرقي والطبقي من الأجناس والطبقات في المدن والأرياف في نسج الكثير من العادات والتقاليد وتأثيراتها على الأسرة باعتبارها البنية الأساسية لبناء المجتمع، ومادامت كذلك فقد تحرى الرجل في اختيار الزوجة لأنها عماد الأسرة، فقد كان الزواج من أساسيات هذه الأسرة ليكتمل بنائها وقد كان للزواج عادات حافظ عليها المجتمع من شروط الزواج والمهر

والصداق ...وقد اختلفت قليلا شروطه بين أهل الريف والمدينة إلى انه لم يختلف كثيرا، بل بقيت التقاليد المتعارف عليها مستمرة إلى يومنا هذا.

ثالثا: كان للمرأة الزيانية دور هاما داخل المجتمع، وبرزت في جميع المجالات اجتماعيا وسياسيا وثقافيا، وحتى اقتصاديا وتركت بصمتها في المجتمع كونها الأم والأخت والزوجة فهي راعية أولادها وخادمة زوجها، وبرزت أيضا في مجال الحرف وشاركت الرجل في أعماله سواء في الريف أو المدينة.

رابعا: وتنوعت تقاليد وعادات المجتمع الزياني منها ما تعلق بالاحتفالات والأعياد وأخرى بالأكل واللباس وأخلاق وطبائع المجتمع، وكانت الأعياد والاحتفالات تقام حسب الطبقات والمستوى المعيشي للأسرة والمنطقة التي يقطنها السكان فهي تتأثر بها فعادات الريف وطباعهم تختلف عن اهل المدينة لكن هناك نوع من التأثر والتشابه إذ لا تختلف كثيرا، كما عرف المجتمع تدهور الأوضاع الصحية وانتشار المجاعات والأوبئة وكانت هذه الأوضاع تتأثر بأحوال الدولة السياسية.

وفي الأخير قد كانت هناك علاقة تأثير وتأثر بين المدن والأرياف فكانت المدينة هي مركز السلطة وتتحكم في الأرياف سياسيا وإداريا وتخضعه لسلطتها، وتميز المجتمع كذلك بظاهرة الهجرة بين الريف والمدينة ومنه التمسنا علاقة التأثير والتأثر بينهما، والتكامل الاقتصادي الذي وطد هذه العلاقات وقد تحدث عنها ابن خلدون وبين هذا التواصل بين الأرياف والمدن، وبرزت فيها العصبية القبلية إضافة إلى ظاهرة الشرف و لم تكن العلاقة بين المدن والأرياف ودية في غالب الأحيان بل تميزت بالعداء والتبعية.

أما العلاقات الاجتماعية كانت هناك بعض الاختلافات التي أبرزناها مثلا منع المرأة من الميراث في الريف وإعطائها حقها في المدينة ومعيشتها داخل الأسرة وكيف تختلف بين الريف والمدينة، بالإضافة إلى التأثير والتأثر بين الريف والمدينة بما تعلق بالأكل واللباس والعادات وتقاليد، إذن فقد تأثرت الأرياف بالمدن في طريقة عيشهم ولباسهم أكلهم ومنه كانت علاقة التأثير والتأثر بينهما.

الملاحق

الملحق رقم (01): نساء من تلمسان- لوحة زيتية لأندري سيريدا[1]

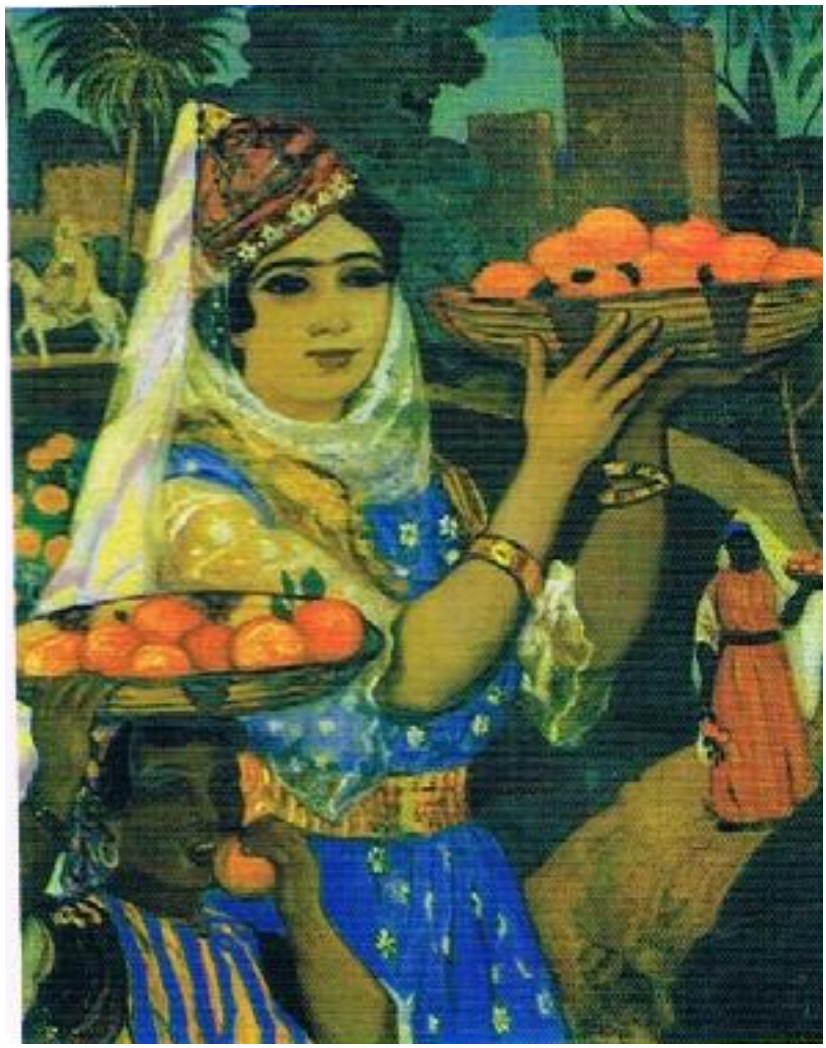

[1]- براهامي نصر الدين، المرجع السابق، ص225

الملحق رقم (02): نساء محجبات بالحايك (نقاب)[1]

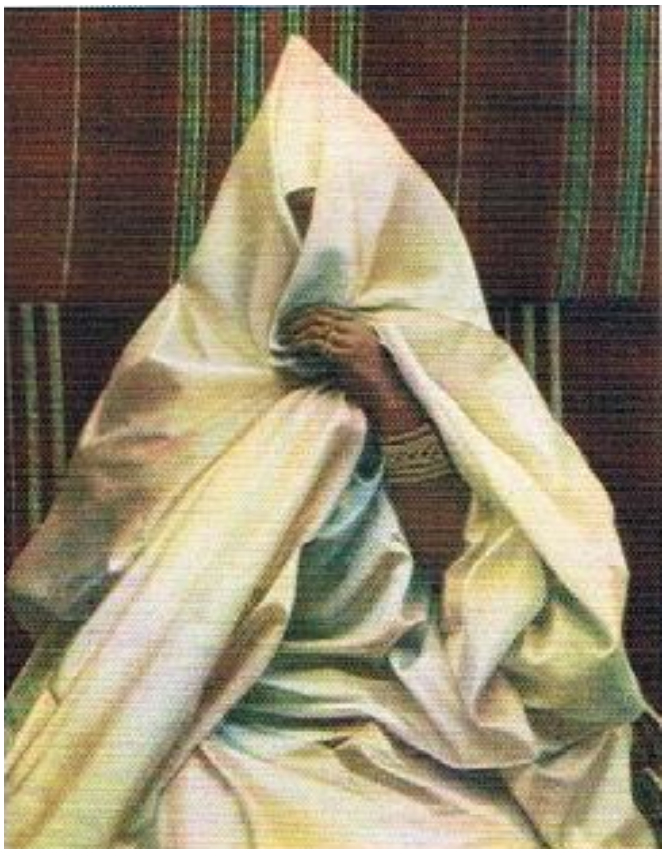

[1]- براهامي نصر الدين، المرجع السابق، ص225

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1ـابن أبي زرع، علي الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، دط، 1972م.

2ـابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط1، 1421هـ_2011م.

3ـالإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الشريف(ت 548هـ_1154م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، دط، دت، ج1.

4ـالبرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت841هـ_1438م)، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تق وتح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002، ج2، ج4.

5ـالبكري، أبو عبيدة، المغرب في ذكر بلد افريقية والمغرب، دار اكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت.

6ـالتمبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، در وتح:محمد مطبع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، دط، 1421هـ_ 2000م، ج1.

7ـالتمبكتي، أحمد بابا، نبل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف وتق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، دط، دت.

8_التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود أغا بوعياد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2001م.

9_الحفناوي، أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة قوانتانة الشرقية، الجزائر، دط، 1364ه_1906م.

10_الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مطابع هييد ليبيرغ، لبنان، ط2، 1984م.

11_ابن حوقل، أبي القاسم، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، دط، 1992م.

12_ابن خطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1973م، ج1.

13_ابن خلدون، أبو زكريا يحي (ت 780ه_1378م)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، دط، 1980، ج1.

14_ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر في ديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر بيروت، دط، 1431ه _2001م، ج6،ج7. _

15_____ ، المقدمة، تح وتع: عبد السلام الشادلي، دار الفنون والعلوم والأداب، دار البيضاء، دط، 2005.

16_الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأزدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح وتع: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي وآخرون، مطابع الدجوي، القاهرة، دط، 1972م، ج2.

17ـالزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح وتع: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

18ـابن الزيات، التادلي أبو يعقوب يوسف (ت617هـ ـ1220م) التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، ط2، 1997.

19ـابن سهل، أبي الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسدي الجياني(413هـ ـ486هـ)، الأحكام الكبرى أو الأعلام بنوازل الأحكام وفطر من سير الحكام، تح: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ ـ2007م، مج،1.

20ـابن صاحب الصلاة، عبد المالك، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 1987.

21ـالعبدري، أبي عبد الله محمد بن محمد علي بن سعود(ت 700هـ ـ1300م)، الرحلة، تح وتق: علي إبراهيم كروي والشاكر الفخام، دار سعد الدين، دمشق، ط2، 1426هـ ـ2005م.

22ـالعقباني، أبو عبد الله محمد بن قاسم بن سعيد التلمساني(ت 817هـ ـ1467م)، تحفة الناظرو غنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، دم، دط، 1967.

23ـالغبريني، أبو العباس محمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح وتع: عادل النويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979.

24ـابن القطان، أبي محمد بن عبد المالك، تر وتق وتح: محمود علي مكي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دار الغرب الإسلامي، دم، ط1، 1990.

25ـالقلقشندي، أبي العباس، صبح الأعشى في الكتاب الإنشاء، دار الكتب الخلدونية، القاهرة، دط، 1322هـ ـ1922م، ج5.

26_ابن قنفذ القسنطيني، أبي العباس أحمد الخطيب، اع وصح: محمد الفاسي وأودولف فور، أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعية للبحث العلمي، الرباط، دط، 1965.

27_ليون الإفريقي،، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط2، 1983، ج1، ج2.

28_مجهول، زهرة البستان في دولة بني زيان(ت 760_467هـ)(1359_1363)، تق:محمد بن أحمد بن علي، أصالة لنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011م.

29_ابن مريم أبوا عبد الله محمد بن محمد المليني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تق: عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1987.

30 _المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، بيروت، دط، 1408ه_1988م، ج8، ج9.

31_ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشادلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت، ج3،ج1.

32_ابن مرزوق، محمد الخطيب التلمساني(ت781ه_1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، در وتح: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981.

33_الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار الدول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تح: جعفري الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، دط، 1418ه_1997م، ج2

34_الوسياني، أبي ربيعة سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني، سير الوسياني، تح ودر: عمر بن لقمان بو عصابة، وزارة التراث الوطني، عمان، ط1، 1430هـ_2009م، ج1.

35_الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحي، المعيار المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد وجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دط، 1401هـ_1981م، ج2، ج3، ج5، ج6.

المراجع:

1_أربوح، زهور، أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي (دراسة فقهية اجتماعية)، المغرب، دار الأمان لنشر والتوزيع ساحة المأمونية، الرباط، جمع الحقوق محفوظة، ط1، 1434هـ_2013م.

2_براهامي، نصر الدين، تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2010.

3_بشاري، لطيفة ، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارتي بني عبد الواد من القرن 07_10هـ /13_16م در وتح: حمداود بن عمر، دار النشر المؤسسة للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، 2011.

4_بوعزيز، يحي، الموجز في تاريخ الجزائر الجزائر القديمة والجزائر الوسطى، ديوان المطبوعات الجامعية، دم، دط، 1990، ج1.

5_الجنحاني، الحبيب، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1986م.

6_جودت، عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3_4هـ/9_10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دن.

7_الجيلالي، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1415هـ_1994م، ج2.

8_حجي، محمد، نظرات في النوازل الفقهية، منشوات الجمعية المغربية للنشر، المغرب، ط1، 1420هـ_1999م.

9_حساني، مختار، تاريخ الدولة الزيانية(الأحوال الاجتماعية)، منشورات الحضارة، دم، دت، 2009م، ج1، ج3.

10_حسن محمد، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح، الأريح، تونس، دط، 1968م.

11_دراجي بوزيان، أدباء وشعراء تلمسان، دار الأمل، الجزائر، دط، 2011م، ج2.

12_السبتي، عبد الأحد وحليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط من قضايا ووثائق الغرب الإسلامي، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م.

13_سعد زغلول، عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف الإسلامية، الإسكندرية، دط، 1993م، ج2.

14_شاوش، محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ج1، ج2.

15_الطمار، محمد، تلمسان عبر العصور دورها في السياسة وحضارة الجزائر، تق:عبد الجليل مرتاض، ديوام المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، دط، 2007م.

16_العروي، عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط2، 2000م،ج2.

17_عياد سعيد، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي، دار النشر بن مرابط، دم، دط، 1432هـ، 2011م.

18_فتحة محمد، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي(من القرن 06 إلى 09هـ/12-15م) منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، دار البيضاء، دط، 1420هـ-1990م.

19_فيلالي، عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني (دراسة حضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية وعمرانية)، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، دط، 2002، ج1.

20_بن قربة، صالح، تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من خلال المصادر، المركز الوطني لدراسة والبحث، الجزائر، دط، 2007م.

21_عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ابن النديم لنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2011م.

22_السيد أبو مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الإسكندرية، دط، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م.

23_بن منصور، عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعية الملكية، الرباط، دط، 1338_1968م،ج1

24_مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي العصر الحديث، العصر الحديث للنشر، بيروت، ط1، 1412ه_1993م، ج2.

25_نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة النويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1400ه_1980م.

الدوريات:

1_بالعربي،خالد، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني 698_845هـ/1299_1422م، مجلة كان التارخية،كلية الأداب والعلوم انسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد الرابع،2009م،

2_بوباية،عبد القادر، العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان، (الروابط العلمية بين بجاية وتلمسان، من خلال كتاب البستان)،دار الأمل، وهران،2011م.

3_بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، المكتبة الوطنية، الجزائر، د ط، 1892م.

4_جوهري بوعلام، العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان، (القطب سيدي أبو مدين شعيب بين حاضرتي بجاية وتلمسان)، دار الأمل، بجاية،2011م,

5_ياسر محمد، مصادر تاريخ المرأة المغربية خلال العصر الوسيط، المرأة في حضارة الغرب الإسلامي، الرباط، العدد 399، 1432هـ_2011م

الرسائل الجامعية:

1_بكاي، عبد الملك، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7_10هـ/13_16م، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 1435ه_2014.

2_حساني، مختار، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للدولة الزيانية 633_962هـ/1235-1554م، رسالة دكتوراه، المعهد الوطني للدراسات التارخية،الجزائر، 1986م

3_الشنقيطي هناء، الخطاب الفقهي لريف المغرب الأوسط من خلال نوازل مازونة، مذكرة ماجيستار، جامعة قسنطينة، 1434ه_2013م.

4_عبد الشكور، نبيلة، اثر المرأة في الثقافة في بلاد المغرب الأوسط6_9ه/ 12_15م، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر2008م.

5_عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6ه/11و12م، دراسة اقتصادية واجتماعية، مذكرة ماجستير،كلية العلوم الانسانية العلوم اجتماعية، قسنطينة، 1434هـ_2013.

6_مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588_927هـ/1192_1520م)، مذكرة ماجستير تاريخ الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، 1430هـ_ 2009م.

7_ بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني(ت 883هـ_1478م)، دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، مذكرة ماجستير في تاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة، 1431ه_2010م، ج1.

8_كمال بسام، تلمسان في العهد الزياني، مذكرة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1422ه_2002م.

الفهرس

الفهرس

كلمة شكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ

المدخل: نبذة تاريخية عن الدولة الزيانية 09

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية بريف المغرب الأوسط على العهد الزياني

المبحث الأول: التركيبة الاجتماعية لريف المغرب الأوسط على العهد الزياني. 22

1_تعريف ريف المغرب الأوسط وأهم القرى 22

2_البربر 23

3_العرب 26

4_الأقليات 28

المبحث الثاني: الفئات الاجتماعية في الريف على العهد الزياني. 30

1_شيوخ ورؤساء القبائل..... 30

2_الفقهاء والعلماء 31

3_المتصوفة 32

4_الحرف والمهن 33

5_المزارعون والرعاة 34

المبحث الثالث: الحياة الأسرية في الريف على العهد الزياني. 36

1_الزواج 36

2_الطلاق 41

3_ دور المرأة ومساهمتها في الريف على العهد الزياني 42

المبحث الرابع: العادات والتقاليد في الريف على العهد الزياني. 46

1_الأعياد 45

2_ الأخلاق والطبائع :..... 48

3_ اللباس والأكل: 50

المبحث الخامس: الأوضاع الصحية في الريف على العهد الزياني 54

1_أسباب حدوث المجاعات والأوبئة 54

2_المجاعات 57

3_الأوبئة 58

4_الأمراض 59

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية بمدن المغرب الأوسط على العهد الزياني

المبحث الأول : التركيبة الاجتماعية بمدن المغرب الأوسط على العهد الزياني. 61

1_ تعريف المدينة في المغرب الأوسط وأهم المدن 61

2_البربر 66

3_ العرب 68

4_ الأقليات 69

المبحث الثاني: الفئات الاجتماعية بالمدن على العهد الزياني. 71

1_الحكام 71

2_الفقهاء والعلماء 72

4_المتصوفة 73

5_ التجار 74

6_ أصحاب الحرف والمهن 75

7_العبيد 76

المبحث الثالث: الحياة الأسرية بالمدن على العهد الزياني. 77

1_الزواج 77

2_الطلاق 83

3_دور المرأة وإسهاماتها.....84

المبحث الرابع: العادات والتقاليد بالمدن على العهد الزياني. 88

1_الأعياد 88

2_المولد النبوي الشريف 90

3_اللباس والأكل 94

المبحث الخامس: الأوضاع الصحية بالمدن على العهد الزياني 98

1- الأمراض 98

2_الأوبئة 99

3_ المجاعات 101

الفصل الثالث: علاقة التأثير و التأثر

المبحث الأول: المدينة باعتبارها مركز سلطة الريف. 104

المبحث الثاني: ظاهرة الهجرة بين الريف والمدينة 109

المبحث الثالث: التكامل الاقتصادي بين الريف والمدينة..... 111

المبحث الرابع:العلاقات الاجتماعية. 116

1_ الزواج 117

2_ الطلاق 120

3_ المرأة بين الريف والمدينة..... 122

4_العادات والتقاليد بين الريف والمدينة 127

الخاتمة..... 131

الملاحق 134

قائمة المصادر والمراجع..... 137

الفهرس 147